نشأة الصراع في تاريخ البشرية من خلال القصص القرآني أسبابه ومظاهره

ماجد عبدالله محمد قايد الكامل
باحث دكتوراه – كلية الآداب – جامعة صنعاء

الملخص

هذه الظاهرة الإنسانية يُعتبر عملية ضرورية لفهم هذه الظاهرة تاريخياً وذلك من خلال القصص القرآني، ولأنَّ الصراع ضرورة بشرية فقد زود الله سبحانه وتعالى البشر بالقدرة على الصراع، زودهم بها في أجسامهم وعقولهم ، وأرواحهم، وكيانهم، فاعتقاد المرء أنه على حق في مسألة ما وأنَّ من خالفه على باطل واعتقاد المخالف في نفسه أنَّه هو الذي على حق لابد أن يحدث بين الاثنين تفاضلاً، وعدم التقاء بقدر أهمية المسألة المختلف فيها، ولن يزول هذا التفاضل إلا بهلاك المختلفين، أو أحدهما، أو بأن يتابع أحدهما الآخر، ويترك ما كان عليه، هذه سنة كونية مشاهدة لاتحتاج الى استدلال بغير شاهد الوجود المرئي المعلوم، ولا يقتصر هذا الصراع على الجانب الديني والاعتقادي فقط؛ وانما يتسع ليشمل الصراع بين كل مبدأين، أو مذهبين متعارضين؛ فالتاريخ يدل على أنَّ ظاهرة الصراع لها صفة الديمومة ولا مفر منها في الحياة الاجتماعية، بل إنَّ الصراع اقترن من أول لحظة بأبينا آدمﷺ في صراعه مع إبليس في السماء، وكانت نتيجة ذلك الصراع أن تحولت معركة الصراع من السماء إلى الأرض لتبدأ جولة جديدة من الصراع بين ابني آدم وعدوهم الأزلي إبليس، فإذا تأملنا الصراعات التي نعاني منها في مجتمعاتنا اليوم نجد أنَّها ليست وليدة اليوم، فالصراع قديم بقدم الإنسانية؛ صراع تختلف أسبابه وتتنوع أبعاده لتأخذ مظاهر وصور متعددة، وقد خُصصت هذا الدراسة للحديث عن ذلك من خلال نشأة الصراع وأسبابه ومظاهره ؛ كل ذلك سيتم تناوله من خلال القصص القرآني، في الآتي: المطلب التمهيدي وقد جاء للبناء المفاهيمي للدراسة من حيث مفهوم الصراع لغة واصطلاحاً، وكذلك مفهوم القصة القرآنية لغة واصطلاحاً، ثمَّ بعد ذلك بدأتُ بدراسة نشأة الصراع وأسباب نشأته مبيناً طبيعة الصراع، ثم انتقلت الدراسة بعد ذلك لبيان مظاهر الصراع في القصص القرآني والذي تمثل بالصراع الطائفي والعنصري والطبقي، ثمَّ الخاتمة والتي أوردت فيها مجموعة من النتائج والتوصيات، ثمَّ ختمت الدراسة بفهارس عامة كاشفة عن مصادرها ومحتوياتها

الكلمات الدالة: (الصراع – القصص – الطائفي– العنصري– الطبقي)

6

t
ز
,
ıon is considered
non historically,
ıuman necessity,
ɔility to struggle.
A differential, and a lack of convergence as much as the importance of
the issue in which the difference is, and this differentiation will not be

removed except by the destruction of the two different, or one of them, or for one of them to follow the other and leave what it was. The religious and belief aspect only; Rather, it expands to include the conflict between all two opposing principles or doctrines; History shows that the phenomenon of conflict has a character of permanence and inevitable in social life. Rather, the conflict was associated from the first moment with our father Adam in his struggle with the devil in heaven, and the result of that conflict was that the battle of the conflict shifted from heaven to earth to start a new round of conflict between The sons of Adam and their eternal enemy is the devil. If we contemplate the conflicts that we suffer from in our societies today, we find that they are not of today, for the conflict is as old as humanity; A conflict whose causes vary and its dimensions vary to take multiple manifestations and images. This study is devoted to talking about that through the emergence of the conflict, its causes and manifestations; All of this will be addressed through the Qur'anic stories, in the following: The introductory requirement came for the conceptual construction of the study in terms of the concept of conflict linguistically and idiomatically, as well as the concept of the Qur'anic story linguistically and idiomatically. This is to clarify the manifestations of conflict in the Qur'anic stories, which was represented by sectarian, racial and class conflict, then the conclusion, in which a set of results and recommendations were presented, then the study concluded with general indexes revealing its sources and contents.

Keywords: (conflict - stories - sectarian - racial – class

المقدمة:

الحمـــــد لله رب العـــــالمين القائـــــل:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾، [يوسف: 111]، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبدالله الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد،،،،،،،

فإنَّ القرآن الكريم كتاب الله الخالد، ومعجزته الدائمة الباقية التي تحدى الله بها الخلق جميعاً، وبما أنَّ القرآن الكريم معجزة محمد ﷺ فقد ظل على امتداد العصور والأزمان ثرياً في معانيه، وألفاظه، وتراكيبه، يأخذ منه العلماء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فهو كتاب هداية ومنهج فلاح في الدنيا والآخرة لمن أراد أن ينهل من منبعه العذب، ويتزود من معارفه التي لا تكاد تحصى في شتى المجالات.

وإذا كان هدف القرآن الكريم هو بناء الانسان وتحقيق السعادة للبشرية جمعاء في جميع جوانب الحياة المختلفة، فإن القصة القرآنية هي التي تسهم في ذلك من خلال الموضوعات التي تتناولها فهي ليست خاصة بمادة معينة أو موضوع معين، بل إنها تصلح لكل المواد ولكل زمان ومكان، كما تُعد من أهم المصادر للتأثير وإصلاح شأن المجتمعات.

ومن أهم الموضوعات والقضايا التي تناولتها القصة القرآنية قضية الصراع بين قيم الخير وقيم الشر من لحظة الخلق الأول إلى أن تقوم الساعة، فالصراع بين الحق والباطل صراع قديم، فمن يوم أن أهبط الله تعالى آدم عليه السلام وزوجه إلى الأرض، وأسكنه وبنيه فيها، وهم يتصارعون فتقاتل ابناه وقتل أحدهما الاخر حقداً وعدواناً، ومن هنا بدأ الصراع وبدأ الانسان يقاتل أخاه الانسان.

كما أنَّ الصراع بين قيم الخير المتمثلة في الإسلام وقيم الشر المتمثلة في الكفر والإلحاد سيظل قائما مادامت السموات والأرض، لا تهدأ معاركه، ولا تخبوا جذوته، ولا تنتهي حوادثه، ولا يكل المتخاصمان فيه عن الجدل والمناقشة؛ ونتيجة لهذه الاستمرارية في الصراع، وتناول القصص القرآني له بالبيان والتفصيل من

جوانب كثيرة، قررت أن يكون نشأة الصراع في تاريخ البشرية مدار هذه الدراسة، وذلك من خلال الوقوف على نشأة أول صراع في تاريخ البشرية، الصراع الذي دار بين آدمﷺ وإبليس عليه اللعنة، وانتقال ذلك الصراع إلى الأرض بين ابني آدم ، والذي عنونته بـ**" نشأة الصراع في تاريخ البشرية من خلال القصص القرآني ... أسبابه ومظاهره"**

❖ أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في: أنَّ القصة القرآنية من أنجع الوسائل وأكثرها تأثيراً في النفوس لما تحويه من العبر والعظات، وهي من أهم المصادر في إصلاح المجتمعات؛ ولارتباطها الوثيق بقضية الصراع الذي يعد من أبرز القضايا التي تعاني منها الأمة في العصر الحاضر.

❖ أسباب اختيار موضوع الدراسة:

أمَّا عن الأسباب التي دعت الباحث لاختيار هذا الموضوع فهي كثيرة منها:

1- لأنَّ الصراعات من أهم وأكبر مصدر من مصادر انتهاكات حقوق الانسان في العالم، فأراد الباحث أن يطلع على الجذور التاريخية لذلك الصراع بدراسة أسبابه ومظاهره.

2- حاجة الأمة إلى النظر إلى الصراعات من منظور إسلامي من خلال القصص القرآني، لأنَّ ذهاب الكثير من الأرواح البشرية في الصراعات سببها غياب الرؤية والحلول من منظور القرآن الكريم.

❖ أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

1- معرفة الجذور التاريخية لنشأة الصراع في القصص القرآني.

2- بيان الأسباب التي صاحبت نشأة الصراع في القصص القراني.

3-بيان طبيعة الصراع في القصص القرآني.

4- عرض وتقديم مظاهر الصراع في القصص القرآني للناس تقديماً علمياً بمفهوم عصري.

❖ الدراسات السابقة:

بعد التقصي والبحث في أروقة المكتبات العلمية، وكذلك عن طريق الشبكة العنكبوتية، لم أقف على رسالة علمية لـ" نشأة الصراع في تاريخ البشرية من خلال القصص القرآني... أسبابه ومظاهره" إلاَّ أنَّ هناك جهوداً للعلماء ودراسات تناولت القصص القرآني من جوانب مختلفة غير جانب الصراع، أمَّا في ما يتعلق بالصراع فقد تمثلت جهودهم في دراسات لسنة الصراع بين الحق والباطل بصورة عامة، وهناك من الدراسات العلمية من تناولت ذلك من خلال بعض سور القرآن الكريم وبيان ذلك على النحو الآتي:

1- رسالة علمية بعنوان" **سنة التدافع بين الحق والباطل في القرآن الكريم.. دراسة موضوعية**" لـ: محمد عبدالقادر الصرايرة، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة، جامعة دمشق، لعام: (1427هـ - 2006م)، وقد اشتملت الدراسة على ثلاثة أبواب في الباب الأول تحدث فيه عن المفاهيم المتعلقة بسنة التدافع وفيه ثلاثة فصول: الفصل الاول: مفهوم السنن الإلهية، والفصل الثاني: مفهوم التدافع في القرآن الكريم، والفصل الثالث: مفهوم الحق والباطل في القرآن الكريم, وفي الباب الثاني تحدث عن: التدافع بين الحق والباطل في القرآن الكريم. وقد جاء في خمسة فصول: الفصل الأول : استعمالات الحق والباطل في القرآن الكريم، والفصل الثاني : موقف البشر تحت سلطان التدافع في القرآن الكريم، والفصل الثالث : الدوافع النفسية للتدافع بين الحق والباطل في القرآن الكريم، والفصل الرابع: آلات التدافع بين الحق والباطل في القرآن الكريم، والفصل الخامس: أشكال التدافع بين الحق والباطل في القرآن الكريم. وفي الباب الثالث: تحدث فيه عن عاقبة التدافع بين الحق والباطل في القرآن الكريم، وقد جاء في فصلين: الفصل الأول :النصر وأسبابه، والفصل الثاني: الاستبدال الحضاري.

2- رسالة علمية بعنوان" **تصوير الصراع بين الحق والباطل في القرآن الكريم.. دراسة فنية**" لـ: أحمد رشيد حسين العزاوي، رسالة دكتوراه، في قسم فلسفة في علوم القرآن، تخصص تفسير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، ، بغداد، لعام: (1431هـ - 2009م).وقد احتوت الرسالة على بابين ، في الباب الأول: تحديد المفاهيم المتعلقة بالموضوع وقد جاء في ثلاثة فصول: الفصل الاول: مفهوم الحق والباطل، والفصل الثاني: مفهوم التصوير الفني ووظيفته، والفصل الثالث: دراسة الصورة الفنية في القران الكريم، وفي الباب الثاني تحدث عن: ميادين

الصراع بين الحق والباطل في القرآن الكريم. وقد جاء في خمسة فصول: الفصل الأول : ميدان النفس الانسانية، والفصل الثاني : الصراع بين الانسان والشيطان، والفصل الثالث : ميدان صراع عبر المجتمع، والفصل الرابع : أشكال الصراع بين الحق والباطل، والفصل الخامس :عاقبة الصراع بين الحق والباطل.

ومن خلال النظر في محتويات الدراستين السابقتين نجد التشابه الكبير بينهما في طرق الكثير من الموضوعات، إلاَّ أن الرسالة الأولى قد تناولت سنة التدافع بين الحق والباطل في القرآن الكريم.. دراسة موضوعية، وهي رسالة مهمة وقيمة في هذا الجانب.

أمَّا الرسالة الثانية فقد ركزت وبشكل كبير على الجانب الفني كما هو واضح من عنوان الرسالة، وذلك عن طريق إبراز الجمال الفني والتذوق الجمالي في النصوص التي يعرض لها البحث فقد كانت الصورة الفنية فيها أوضح وأبين.

لكن دراستي ستتناول الصراع من جوانب مختلفة كنشأته، وأسبابه، وطبيعته، ومظاهره، ، كل ذلك ستتناوله دراستي من خلال القصص القرآني المتعلق بنشأة الصراع كما يتضح من الخطة، وهو ما لم تسبق له أي دراسة من قبل.

3- رسالة علمية بعنوان**" معالم الصراع الايماني في قصة موسى عليه السلام"** لـ: جال محمود محمد الهوبي، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والتربية جامعة أم درمان الإسلامة، السودان، لعام: (1408،1407هـ - 1987، 1988م)، وقد جاءت الرسالة في تمهيد وبابين تحدث في التمهيد عن القصة والصراع، وعن بني اسرائيل من حيث نسبهم وأنبيائهم وتاريخهم وصفاتهم، كما تحدث فيه أيضاً عن موسى عليه السلام من حيث نشأته ونبوته ومناقبه ووفاته.

والباب الأول تحدث فيه عن الصراع الايماني بين موسى عليه السلام وفرعون وحزبه وذلك من خلال: كيفية إعداد موسى عليه السلام للصراع وكيف بلغ دعوة ربه وموقف فرعون منه، ثم تناول الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون وسحرته، وموقف فرعون من السحرة بعد هزيمتهم ومن موسى عليه السلام، ثم تناول الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون وجيشه من خلال إصرار الفراعنة على كفرهم وتكبرهم.

أمَّا الباب الثاني فقد تناول فيه الصراع الايماني بين موسى عليه السلام وقومه، وتحدث من خلاله عن الصراع بين موسى عليه السلام ووثنية قومه كعباتهم الأصنام والعجل وموقف موسى عليه السلام من ذلك، ثم تحدث بعد ذلك عن صراع موسى عليه السلام مع الفسقة من قومه ورفضهم قبول

التوراة وإصرارهم على طلب رؤية الله وتلكؤهم في ذبح البقرة ثم ذبحها بعد ذلك ورفضهم دخول الأرض المقدسة.

ومن خلال النظر في ما سبق من محتويات الرسالة: نجد أنَّ الرسالة أخذت من قصة موسى عليه السلام معلماً للصراع من خلال ذكر مواقف فرعون وسحرته وجيشه، وكذلك قوم موسى من دعوة موسى عليه السلام بشكل وصفي لتلك الأحداث، وهو ما يختلف عنواناً ومضموناً وبشكل تام عن دراستي الموسومة بـ: نشأة الصراع في تاريخ البشرية من خلال القصص القرآني... أسبابه ومظاهره"

4- رسالة علمية بعنوان" **الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف"** لـ: عادل محمد صالح أبو العلا، رسالة دكتوراه، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، لعام: (1409هـ)، وقد جاءت رسالته في تمهيد واثني عشر فصلاً

تناول في التمهيد بيان مفهوم الحق والباطل والتعريف بسورة الأعراف.

وفي الثمانية الفصول الأولى تناول صراع الأنبياء مع أقوامهم من خلال دعوة النبي قومه لتوحيد الله وعبادته وبيان موقفهم من تلك الدعوة بدأ من آدم مرورا بنوح ثم هود ثم صالح ثم لوط ثم شعيب ثم موسى ثم محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما.

وفي الفصل التاسع بين وجه الشبه بين موقف الكافرين المعاندين وردهم لدعوة الرسل، وفي الفصل العاشر والحادي عشر تناول فيه النظريات الحديثة في الصراع وموقف الإسلام منها، وفي الفصل الأخير أشار إلى عاقبة الصراع بين الحق والباطل.

ومن خلال النظر في عنوان الرسالة ومحتوياتها نجد أنَّ الباحث قد تناول سورة واحدة، كما أنَّ دراسته قد تناولت موضوع الصراع ببيان موقف الأقوام من دعوة أنبيائهم كما صورتها أحداث السورة، وهو ما يختلف تماما عن دراستي التي ستركز على نشأة الصراع في القصص القرآنية والتي ستتناول من خلالها موضوع الصراع بشكل مفصل ببيان نشأته وأسبابه وطبيعته ومظاهره، وهو ما لم تتطرق له الدراسة السابقة لا من قريب أو بعيد.

5- رسالة علمية بعنوان" **الصراع بين الحق والباطل من خلال سورة القصص"** لـ: محمد بابكر أحمد إيدام، رسالة ماجستير، قسم .....، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الرباط الوطني، المغرب، لعام: (1438هـ - 2016م).

وقد جاءت الرسالة في ثلاثة فصول:

الفصل الأول تمهيدي واشتمل على التعريف بسورة القصص، والفصل الثاني عنونه بالتفسير الموضوعي وقد اشتمل على الحديث عن التفسير الموضوعي وأهميته وعن محور السورة المتمثل في الصراع بين الحق والباطل، كما أنه اشتمل على كلمة عن فتنة الحكم وحب التسلط ثم ختم ذلك الفصل بصفات أهل الحق وصفات أهل الباطل من خلال السورة ، والفصل الثالث عنونه بـ تنوع أساليب القرآن الكريم في عرض موضوعات سورة القصص، وقد تناول فيه أساليب القرآن والفرق بينها وبين الأساليب الأدبية، وختم ذلك بالحديث عن أسلوب المثل وتعريفه وأنواعه والأمثال الواردة في سورة القصص .

ومن خلال النظر في محتويات الرسالة نجد أنها ركزت على الجوانب الشكلية في سورة القصص ولم تتحدث عن موضوع الصراع إلاَّ في جزئية محور السورة وقد جاء ذلك في عشرين صفحة تقريبا من حجم الرسالة البالغ (103) صفحة.

ومن خلال ما سبق عرضه في الدراسات السابقة يتضح لنا أنَّ تناولهم لقضية الصراع كان بشكل مجمل، وكل دراسة نظر لها صاحبها من منظور معين كما تقدم معنا في كل رسالة.

أمَّا دراستي هذه فستتناول موضوع الصراع وما يتعلق به من حيث نشأته، وأسبابه، وطبيعته، ومظاهره، من خلال القصص القرآني المتعلق بنشأة الصراع بشيء من التفصيل والبسط، وفي إطار منهجي مختلف فكرة ومضموناً، كما يتضح ذلك من الخطة؛ لكون البحث في الأصل مخصصاً لهذا الموضوع.

لذلك فبحثي هو أول داراسة ستتناول " نشاة الصراع في تاريخ البشرية من خلال القصص القرآني... أسبابه ومظاهره "

❖ حدود الدراسة:

الدراسة محصورة في دراسة أسباب ومظاهر نشأة الصراع في الآيات الواردة في قصة آدم عليه السلام مع إبليس عليه اللعنة، وكذلك قصة صراع ابني آدم هابيل وقابيل ولا تتعرض الدراسة لغيرها من الآيات إلاَّ ما دعت إليه الحاجة استشهاداً أو اعتضاداً لفكرةٍ.

❖ تساؤلات الدراسة:

سيحاول الباحث دراسة نشأة الصراع من خلال صراع آدم عليه السلام مع إبليس عليه اللعنة، وكلك قصة صراع ابني آدم هابيل وقابيل؛ مجيباً على التساؤلات الآتية:

س1/ متى نشأ الصراع، وما هي أسباب نشأته في القصص القرآني؟؟

س2/ ماهي طبيعة الصراع في القصص القرآني؟
س3/ ما هي مظاهر نشأة الصراع في القصص القرآني؟

❖ منهج البحث:

المنهج العام:

في هذا البحث سيعتمد الباحث على المناهج العلمية المعتمدة في البحث العلمي، وهي: المنهج التحليلي، والمنهج الاستقرائي.

أ- **المنهج التحليلي:** وذلك من خلال تحليل الموضوعات التي اشتملت عليها القصص القرآنية المتعلقة بجانب نشأة الصراع .

ب- **المنهج الاستقرائي:** وذلك بكل ما يختص بالموضوع من جميع جوانبه، وخاصة التي تخدم ما يتعلق بـ نشاة الصراع من حيث أسبابه ومظاهره.

المنهج الخاص:

- المنهج الخاص:

سوف يتبع الباحث أثناء كتابة بحثه الخطوات الآتية:

1- جمع الآيات الخاصة بالموضوع في القصص القرآني.
3- كتابة الآيات الخاصة بكل موضوع بالرسم العثماني، برواية حفص عن عاصم.
4- عرض القضايا البارزة في آيات الموضوع بتوسع غير ممل ولا مخل.
5- تقسيم الموضوعات في الدراسة إلى مبحثين رئيسة، في كل مبحث عدة مطالب، وهذا التقسيم باعتبار حاجة الموضوع إليه لا باعتبار الكم.
6- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، مع ذكر اسم السورة، ورقم الآية في المتن تجنباً لإثقال الحاشية.
7- تخريج الأحاديث من مضانها، مع الحكم عليها إن كانت في غير الصحيحين.
8- ذكر معلومات تخريج الحديث، من حيث، اسم الكتاب ومؤلفه الذي خرجته منه، ثمَّ اسم الكتاب والباب الذي ورد فيه، ثمَّ رقم الحديث والجزء والصفحة، أمَّا بقية معلومات المصدر فذكرت في قائمة المصادر والمراجع.
9- الترجمة للأعلام التي وردت في صلب البحث- عدا الأنبياء والخلفاء الراشدين- ترجمة موجزة في أول ذكر لها، ولا ألتزم بالإحالة إذا تكرر ذكرها، وتتضمن الترجمة ذكر اسم العلم ونسبه، وشيءٍ من صفاته، ومصنفاته، ووفاته، مع ذكر مصادر ترجمته من كتب

التراجم والطبقات.

10- وضع ما اقتبس من المعلومات بالنص وأقوال العلماء بين علامتي" "، والأحاديث النبوية بين علامتي((-))، والآيات القرآنية بين علامتي ﴿ ﴾ .

11- توثيق النصوص المنقولة في الهامش من مصادرها، مبتدئاً بذكر اسم الكتاب ثمَّ اسم المؤلف، مع رقم الجزء ورقم الصفحة. أمَّا بقية معلومات المصدر فذكرت في قائمة المصادر والمراجع.

12- ضبط ما يحتاج إلى ضبط من الألفاظ المشكلة، بحسب ما يوضح السياق على قدر الإمكان.

13- الالتزام بقواعد الإملاء وعلامات الترقيم في كتابة البحث، وفق أصول هذا الفن.

14- تذيل البحث بفهارس عامة كاشفةً لمصادرها ومحتوياتها؛ تسهيلاً للوصول لأي معلومة يراد الاطلاع عليها.

❖ تقسيمات الدراسة:

لقد اقتضت طبيعة البحث ومادته العلمية أن ينتظم عقده في مطلب تمهيدي، ومبحثان، وفي كل مبحث، عدة مطالب، على النحو الآتي:

المطلب التمهيدي: البناء المفاهيمي للدراسة

الفرع الأول: مفهوم الصراع لغة واصطلاحاً.

الفرع الثاني: مفهوم القصة القرآنية لغة واصطلاحاً.

المبحث الأول: نشأة الصراع وأسبابه في القصص القرآني.

المطلب الأول: نشأة الصراع في القصص القرآني.

المطلب الثاني: أسباب نشأة الصراع في القصص القرآني.

المطلب الثالث: طبيعة الصراع في القصص القرآني.

المبحث الثاني: صورمن مظاهر الصراع في القصص القرآني.

المطلب الأول: الصراع الطائفي.

المطلب الثاني: الصراع العنصري.

المطلب الثالث: الصراع الطبقي.

المطلب التمهيدي: البناء المفاهيمي للدراسة

لكي تحقق الدراسة أهدافها لابد أن نشير في خطوات محددة ومنظمة سلفاً تحقق كل خطوة هدفاً من أهداف الدراسة، وتكون مرتكزاً لتحقيق الهدف التالي، حتى تصل الدراسة إلى غايتها ومبتغاها، والخطوة الأولى التي لا تُغفل في أي دراسة، والتي تمثل العماد، هي خطوة البناء المفاهيمي للدراسة، لهذا جاء المطلب التمهيدي ليكون عماد الدراسة وأساسها الذي تنبثق منه وتقوم عليه مباحث الدراسة التالية ومطالبها، فلايمكن الحكم على شيءٍ ما، إلا بعد تصوُّرٍ عن حقيقته، ليتسنى استيعا ب الفكرة المقصودة بذلك الشيء أكثر فأكثر ، ولذلك لم يكن لنا مناص إلا أن نقدم بناءً مفاهيمياً حول عنوان الدراسة، يتمثل في:

الفرع الأول: مفهوم الصراع لغة واصطلاحاً

الفرع الثاني: مفهوم القصة القرآنية لغة واصطلاحاً

الفرع الأول: مفهوم الصراع لغة واصطلاحاً.

الصراع لغة:

يرجع الصراع في مادته اللغوية إلى الصرع، الذي يعني الطرح في الأرض، يقال صرعته صرعاً، والصرعة حالة المصروع، والصراعة حرفة المصارع، ورجل صريع أي مصروع ،وقوم صرعى قال تعالى : ﴿... فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ ... ﴾، { الحاقة: ٧ }، والصراع معالجة المتصارعين أيهما يصرع صاحبه[1]، وفي الحديث: ((مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تفيئها الريح، تصرعها مرة وتعدلها أخرى))[2] أي: تميلها وترميها من جانب إلى جانب [3]

والصرعة: الغلاَّب في المصارعة، فيقال رجل صرعة وقوم صرعة[4]

([1]) ينظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادى، (صـ 737)، المفردات في غريب القرآن، للأصفهانى، (صـ 483)، لسان العرب، لابن منظور (197/8) ، تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي، (329/21).

([2]) أخرجه مسلم، في صحيحه ،كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: مثل المؤمن كالزرع، برقم: (2810)، (2163/4)، وعند البخاري نحوه بلفظ((تفيئها الريح مرة وتعدلها أخرى))، من غير تصرعها، ينظر: صحيح البخاري، كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، برقم: (5643)، (114/7).

([3]) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ، (106/10).

([4])المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (صـ513).

وفي الحديث: ((ما تعدون الصرعة فيكم؟ قالوا: الذي لا يصرعه الرجال. قال ليس بذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب))[1]

وفي المخصص: " الصّرْع - الطّرْح بِالْأَرْضِ صرَعْتُه أصرَعه صرْعاً وصِرعاً فَهُوَ مصروع وصَرِيع وَالْجمع صرْعى وَرجل صرّاع وصِرّيع بيّن الصَّراعة وصَروع - شَدِيد الصرْع وصُرَعة - كثير الصرْع لأقرانه وَقد تصارَع الْقَوْم والصطرَعوا وصارعْته مُصارَعة وصِراعاً والصِرعان - المُصطرِعان والصُرَعة"[2]

ومن الباب: اعترك القوم في القتال، وذلك تمرس بعضهم ببعض وعرك بعضهم بعضا، فيقال: رجل عرك وقوم عركون، وهم الأشداء في الصراع.[3]، والمجادلة والجدال: المخاصمة والخصام. فالجدال: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله: من جدلت الحبل: إذا أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه.

وقيل: أصل الجدال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة. وكل من الجدل والجدال والمجادلة[4]

وخلَاصة ما ورد في المعاني السابقة للصراع أنَّها تحمل معنى الصراع وتدل عليه: فالصراع يدل على معانى: الجدال والخصومة والنزاع والعراك والمدافعة والمغالبة وبين هذه المصطلحات علاقة عموم وخصوص؛ فجميع من هذه المصطلحات كل منها يحمل معنى الآخر ويدل عليه، كما أنها جميعاً تحمل معنى الجانب والناحية، وأنَّ كلا من المصارع والمنازع والمخاصم والمجادل قد اتخذا جانباً، كما أنها تحمل معنى المدافعة والمغالبة والعراك، وبذلك يكون معنى الصراع بجملة أخرى هو: المدافعة والمغالبة والمجادلة والمنازعة بين اثنين أو فريقين، ينشأ عنها ظهور المنتصر وهو الصارع، والمنهزم وهو المصروع، والأمر كله يسمى صراعاً.

الصراع في القرآن الكريم:

لم يرد لفظ الصراع في أي آية من آيات القرآن الكريم؛ لكن جاء مشتق من مشتقاتها بمعنى الهلاك والإهلاك في سياق الحديث عن قوم عاد وثمود في قوله تعالى: ﴿ ... فَتَرَى

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب، برقم: (2608)، (2014/4).

(2) المخصص، لابن سيده، (3/ 350).

(3) معجم مقاييس لابن فارس (4/ 290).

(4) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، (194/28)

ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ ... ﴾، { الحاقة: ٧ }، وصرعى: جمع صريع وهو الملقى على الأرض ميتا،[1] يعني موتى يريد أنهم صرعوا بموتهم، فهم مصرعون صرع الموت[2]، فقد جاءت بمعنى الهلاك أي فهم هلكي بسبب ما أصابهم من العذاب[3]

والمراد بالصراع في القرآن الكريم: هو الصراع بين الحق والباطل، وهو: المعالجة بين أهل الحق وأهل الباطل أيهما يصرع أو يدفع صاحبه، وقد عبر القران الكريم عن هذا المعنى بالتدافع الذي هو سنة إلهية من سنن الاجتماع البشري بين أهل الحق المصلحين ،وأهل الباطل المفسدين ،كل يقاوم الاخر، ويقاتله[4]، وهي حكمته العليا سبحانه من اصطراع القوى وتنافس الطاقات وانطلاق السعي في تيار الحياة المتدفق الصاخب الموار[5]،وهو ما يعبر عنه علماء الاجتماع في هذا العصر بتنازع البقاء[6] .وبناء على هذا فإن كلا من الحق والباطل في صراع وتنازع مستمر، وهي سنته تعالى في الحياة وكذلك فإنَّ كلا منهما يهدف إلى حماية نفسه، ومصالحه، لينال من الاخر ويرد عليه، ومصلحة الحق في ذلك هو منع الفساد بخلاف الباطل الذي يريد نشر الفساد وهذا واضح في قوله تعالى في استخلاف ادم عليه السلام : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾، { البقرة: ٣٠ }، فهذا هو مفهوم الصراع وسيزداد الأمر وضوحا عند حديثنا عن نشأة الصراع وأسبابه في المبحث الأول بعد الانتهاء من المطلب التمهيدي.

الصراع اصطلاحا:

يُعَرَّف الصراع بأنَّه" موقف ناجم عن الاختلاف في الأهداف والمصالح القومية"[7] كما عرف أيضاً بأنَّه:" شكل من أشكال الصدام بين ثقافات ومصالح غير متجانسة لأطراف غير

(1) التحرير والتنوير، لابن عاشور،(29/ 118).
(2) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (30/ 622).
(3) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (23/ 575).
(4) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا، (2/ 390).
(5) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (1/ 270).
(6) ينظر: المصدر السابق: (6/8).
(7) ينظر: إدارة الصراعات وفض المنازعات- إطار نظري-، سامي إبراهيم الخزندار، (صـ 61)

قادرين على التعايش في البيئة الموجودين فيها"[1]

كما عُرِفَ أيضاً: بأنَّه عمل مقصود من طرف ما للتأثير سلبياً على طرف آخر يؤثر بشكل سلبي على ذلك الطرف، ويعيق تحقيق أهدافه وخدمة مصالحة

والصراع: عملية تفاعل اجتماعي بين طرفين أو أكثر تبدأ عندما يدرك أحد أطرافها أنَّ الطرف الآخر يعيق أهدافه مما يخلق لديه شعوراً بالإحباط يقوده إلى تفسير طبيعة الموقف ومقاصد الطرف الآخر، وبالتالي إلى القيام بسلوك معين قد ينهي الصراع، أو يؤدي إلى تطورات أخرى واستمرار الصراع[2]

كما يُعرَّف الصراع في قاموس علم الاجتماع العربي بأنه:" نزاع مباشر ومقصود بين أفراد وجماعات من أجل هدف واحد، وتعتبر هزيمة الخصم شرطاً ضرورياً للتوصل إلى الهدف، ويظهر في عملية الصراع الأشخاص بشكل واضح من ظهور الهدف المباشر، ونظراً لتطور المشاعر العدوانية القوية، فإن تحقيق الهدف في بعض الأوقات قد يعتبر شيئاً ثانوياً بجانب هزيمة الطرف الآخر"[3]، ويقصد بالصراع كذلك بأنه: أحد أنماط التفاعل الاجتماعي، الذي ينشأ عن تعارض المصالح، وهو الموقف التنافسي، حيث يَعرفُ كل من المتنافسين غريمه، ويدرك أنه لا سبيل إلى التوفيق بين مصلحته وبين مصلحة الغريم، فتنقلب المنافسة بينهما إلى صراع، حيث يعمل كل منهما على تحطيم الآخر والتفوق عليه. (4)

وإذا حاولنا تحليل التعريفات سابقة الذكر، نجد فيها تشابه في المفهومات، حيث أن كل منهما يُعَرِّف الصراع بأنه عملية اجتماعية، وليست مواقف فردية فحسب، بل يشارك فيه شخصين فأكثر، كل منهما يحمل أهدافاً ومصالح يسعى إلى تحقيقها مع إمكانية تحطيم الطرف المتصارع معه، وأنَّ الصراع يحدث بين الأفراد، أو بين الجماعات، أو بين الأفراد والجماعات، أو بين الجماعات بعضها لبعض، أو داخل الجماعة نفسها.

---

(1) ينظر: العلاقات العامة الشعبية ودورها في الوساطة وفض النزاعات القبيلة، حسب الرسول الطيار،(صـ 174)
(2) السلوك التنظيمي- دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في منظمات الأعمال، محمد القريوتي، ، (صـ258)
(3) قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، (صـ73).
(4) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية أحمد زكي بدوي، (صـ: 79).

الفرع الثاني: مفهوم القصة القرآنية لغة واصطلاحاً.

القصص في اللغة[1]:

القص فعل القاص، إذا قص القصص والقصة معروفة، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ... ﴾ {يوسف: ٣ } ، والقاص الذي يأتي بالقصة والقص القصص: تتبع الأثر. ومنه قوله: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ {القصص: ١١ }، أي: اتبعي أثره، وقوله: ﴿ ... فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ {الكهف: ٦٤ }، أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه فيقصان الأثر، والقص أَخْذُ الشعْرِ بالمقص، وأصل القص : القَطْعُ ، وتَقَصص كلامه حَفِظَهُ، والقص :البَيَانُ.

قلت: أصل القص: اتباع الأثر، يقال: خرج فلان قصصا في إثر فلان وقصا، وذلك إذا اقتص أثره، وقيل: للقاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقاً.

يقول أبو نصر الفارابي[2]:" قص أثره، أي تتبعه. قال الله تعالى: ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ {الكهف: ٦٤}. وكذلك اقتص أثره، وتقصص أثره، والقصة: الأمر والحديث، وقد اقتصصت الحديث: رويته على وجهه. وقد قص عليه الخبر قصصا، والاسم أيضا القصص بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص، بكسر القاف: جمع القصة التى تكتب"[3].

---

(1) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، (211/8)، لسان العرب، لابن منظور، (73/7)، القاموس المحيط، للفيروز آبادي، (صـ627)،

(2) هو: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي: لغوي، من الأئمة الفضلاء وخطه يذكر مع خط ابن مقلة، من أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان. وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) أصله من فاراب، ودخل العراق صغيرا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور. وصنع جناحين من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة، وحاول الطيران ومات قتيلاً توفي سنة: (393هـ) ((ينظر: يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، (4/ 468)، الأعلام للزركلي، (313/1)).

(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي، (3/ 1051).

وقد استعمل لفظ الخبر والنبأ والحديث للتعبير عن القصة القرآنية، وقد قدم أبو هلال العسكري[1] فروقاً بين دلالات تلك الألفاظ فقال[2]:

" أنَّ الخبر هو القول الذي يصح وصفه بالصدق والكذب ويكون الإخبار به عن نفسك وعن غيرك وأصله أن يكون الإخبار به عن غيرك وما به صار الخبر خبرا هو معنى غير صيغته لأنه يكون على صيغة ما ليس بخبر ... والحديث في الأصل هو ما تخبر به عن نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك وسمي حديثا لأنه لا تقدم له وإنما هو شيء حدث لك فحدثت به ثم كثر اسعمال اللفظين حتى سمي كل واحد منهما باسم الاخر فقيل للحديث خبر وللخبر حديث...

أمَّا النبأ لا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبر ويجوز أن يكون الخبر بما يعلمه وبما لا يعلمه،... وفي القرآن ﴿ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ، {الشعراء: ٦ }، وإنما استهزأوا به لأنهم لم يعلموا حقيقته ولو علموا ذلك لتوقوه يعني العذاب وقال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ...﴾ ،{هود: ١٠٠}، ... أمَّا القصص ما كان طويلا من الأحاديث متحدثا به عن سلف ومنه قوله تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ ، {يوسف: ٣ }، وقال ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ... ﴾ {هود: ١٢٠ }، ولا يقال الله قاص؛ لأنَّ الوصف بذلك قد صار علما لمن يتخذ القصص صناعة، وأصل القصص في العربية إتباع الشيء الشيء ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ... ﴾ ،{القصص: ١١}، وسمي الخبر الطويل قصصا؛ لأنَّ بعضه يتبع بعضاً حتى يطول وإذا استطال السامع الحديث قال هذا قصص والحديث يكون عمن سلف وعمن حضر ويكون طويلا وقصيرا ويجوز أن يقال القصص هو الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضا والحديث يكون عن ذلك وعن غيره والقص قطع يستطيل ويتبع بعضه بعضا مثل قص الثوب بالمقص وقص

(1) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال: عالم بالأدب، له شعر. نسبته الى (عسكر مكرم) من كور الأهواز، له مصنفات كثيرة، منها: (التلخيص) في اللغة، (كتاب الصناعيتن: النظم والنثر)، (الفروق) في اللغة، و (ديوان المعاني)، كانت وفاته بعد سنة: (بعد 395ه).((ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، (1406 هـ - 1982م)،دار الفكر العربي- مؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة – بيروت، (189/4)، الأعلام، للزركلي، (196/2).))

(2) الفروق اللغوية، للعسكري، (صـ صـــ41،42).

الجناح وما أشبه ذلك، وهذه قصة الرجل يعني الخبر عن مجموع أمره، وسميت قصة؛ لأنَّها يتبع بعضها بعضاً حتى تحتوي على جميع أمره."

ومن خلال النظر في المعاني اللغوية السابقة يتبيّن أنّ القصّة في أصلها اللغوي مأخوذة من (القصّ)، وتأتي على ستّ معان هي: المتابعة، الخبر، الحفظ، القطع، البيان، والصدر من كل شيء.

وفي القرآن الكريم جاءت بمعنى المتابعة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ ... ﴾ ،{القصص: ١١}، **وجاءت بمعنى القطع** في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ... ﴾ ، {البقرة: ١٧٨ } ، **وجاءت بمعنى الخبر** في قوله تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ... ﴾ {هود: ١٢٠ }، وقوله: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ ... ﴾ ، {يوسف: ٥ }، **وجاءت بمعنى البيان** في قوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ ... ﴾ {يوسف: ٣ }

القصص القرآني اصطلاحاً:

أمَّا من الناحية الاصطلاحية فقد تطرّق الكثير من المفسرين والباحثين لتعريف القصة القرآنية، فقد عرّفها الطاهر بن عاشور[1] في مقدمته السابعة، بأنَّها:

" الخبر عن حادثة غائبة عن المخبّر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصا مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم"[2]

وعرّفها عبد الكريم الخطيب[3] بقوله: " أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدث به من أخبار القرون الأولى، في مجال الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحقّ والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام"[1]

---

(1): هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه فيها، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، و (الوقف وآثاره في الإسلام)، وفاته بتونس سنة (1393هـ)، ((ينظر: ، الأعلام، للزركلي، (6/ 174).))

(2) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (64/1).

(3) هو: عبد الكريم محمود يونس الخطيب: مفكر باحث من أهالي مصر. ولد بالصعيد وتخرج بمدرسة المعلمين بسوهاج فعمل

وقد عرَّفها مناع القطان[2] بأنَّها: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة - وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.[3]

يلاحظ من التّعريفات السابقة أنَّها اعتمدت في تعريف القصة في القرآن على أهدافها وأنواعها، فالهدف من القصة القرآنية هو العظة وهداية البشر؛ وخصّصت أغلب التّعاريف قصص الأمم السابقة والحوادث الواقعة في عهد النبوّة المحمدية.

فالقصص في القرآن الكريم جمعت ذكر الأنبياء، والصالحين، والملائكة، والشياطين، والأنعام، وسير الملوك، والمماليك، والتجار، والعلماء، والرجال، والنساء، وحيلهن، وذكر التوحيد، والفقه، والسر، وتعبير الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة، وتدبير المعاش، والصبر على الأذى، والحلم والعز، والحكم، إلى غير ذلك من العجائب.[4]

وقصص القرآن أصدق القصص؛ لقوله تعالى: ﴿... وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ، {النساء: ٨٧}، وذلك لتمام مطابقتها للواقع، وأحسن القصص؛ لقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ ، {يوسف: ٣ }؛ وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في

بالتعليم والتحق بدار العلوم فلما تخرج بها عمل بالمدارس الثانوية وانتقل إلى وزارة الأوقاف له ما يربو على خمسين كتابا، منها: (التفسير القرآني للقرآن)، (سد باب الاجتهاد وما ترتب عليه)، (القصص القرآني)، (التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته)، (الحدود في الإسلام)، (قضية الألوهية بين الفلسفة والدين)، (في كتابين: الله ذاتا وموضوعا، الله والإنسان)، (القضاء والقدر بين الفلسفة والدين)، (إعجاز القرآن)، (في كتابين: الإعجاز في دراسات السابقين، الإعجاز في مفهوم جديد)، (النبي محمد إنسان الإنسانية ونبي الأنبياء)، (عمر بن الخطاب الوثيقة الخالدة للدين الخالد)، (علي بن أبي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة)، (الخلافة والإمامة)، (السياسة المالية في الإسلام)، (الدين ضرورة حياة)، (الإسلام في مواجهة الماديين الملحدين)، (الإنسان والشيطان)، (التصوف والمتصوفة) وله مقالات كثيرة وندوات وأحاديث إذاعية.((ينظر: موسوعة الأعلام والتراجم، (صـ164)

(1) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، للخطيب، (صـ: 40).

(2) مناع خليل القطان، ولد في قرية " شنشور " إحدى قرى المنوفية بمصر سنة: (1925 م)، حفظ القرآن الكريم في مكتب القرية، وأنهى دراسة المرحلة الابتدائية، التحق بالأزهر - معهد شبين الكوم - وتخرج من كلية أصول الدين، ثم التحق بتخصص التدريس وحصل على العالمية مع إجازة التدريس، عمل في التدريس بمصر، ثم قدم إلى المملكة العربية السعودية معارا للتدريس بالمعاهد العلمية سنة: (1373هـ - 1953 م)، حضر عدة مؤتمرات إسلامية ، من مؤلفاته: (مباحث في علوم القرآن)، (تفسير آيات الأحكام)، (نظام الأسرة في الإسلام)، (الدعوة إلى الإسلام)، وله نشاط إعلامي في الإذاعة، وأبحاث منشورة في المجلات الإسلامية- توفي سنة: (1420هـ)، ((ينظر: ، (ص90)، كتاب مجلة البحوث الإسلامية - ترجمة الشيخ مناع خليل القطان - المكتبة الشاملة الحديثة، الرابط:https://al-maktaba.org/book/، بتاريخ: 2022/7/23م)).

(3) مباحث في علوم القرآن، للقطان، (صـ صـ316، 317).

(4) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (413/2).

البلاغة وجلال المعنى، وأنفع القصص، لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ... ﴾ ، { يوسف: ١١١}؛ وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق.

و نخلص من هذا إلى أنَّ: القصص القرآني أنباء وأحداث تاريخية لن تلتبس بشيء من الخيال، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع، اشتملت على أخبار الأمم السابقة والأحداث الواقعة في عهد النبوّة جاءت للعبرة والعظة.

المبحث الأول: نشأة الصراع وأسبابه في القصص القرآني

المطلب الأول: نشأة الصراع في القصص القرآني.

إنَّ كل مبدأ ومذهب يعتقده جماعة من الناس، ويخالفهم فيه آخرون لابد أن يحدث اجتماع تلك الجماعة عليه بينهم تعاونا وتناصراً فيه ولابد أن يحدث عند مخالفيهم محاولات في تغيير مبادئ تلك الجماعة، ومذاهبها وهذا سيؤدي الى التصادم، وإلى المعاداة بينها، واللذان يختلفان في حدتهما وضعفهما، بحسب مقدار التباين بين المبدأين والمذهبين وبحسب سعة وشمول كل مبدأ لمناحي المعتقد القلبي، وللواقع العملي، ولوجوه الحياة المتعددة، هذه سنة كونية مشاهدة لاتحتاج الى استدلال بغير شاهد الوجود المرئي المعلوم، ولا يقتصر هذا الصراع بين الحق والباطل على الجانب الديني والاعتقادي فقط؛ وانما يتسع ليشمل الصراع بين كل مبدأين، أو مذهبين متعارضين؛ فالتاريخ يدل على أنَّ ظاهرة الصراع لها صفة الديمومة ولا مفر منها في الحياة الاجتماعية، فإذا تأملنا الصراعات التي نعاني منها في مجتمعاتنا اليوم نجد أنَّها ليست وليدة اليوم، فالصراع قديم بقدم الإنسانية بدأ بصراع آدم عليه السلام مع إبليس في السماء، وخروجه من الجنة، وهبوطه إلى الأرض، بسبب وسوسة الشيطان رمز الشر والباطل، وصراعه مع الإنسان الذي يدعو إلى عبادة الله وإلى الخير والحق، وقد وردت قصة آدم عليه السلام وإبليس مكررة في سبعة مواضع وفي سبع سور وهي حسب ترتيب نزولها [1]: سورة ص[1]، وسورة الأعراف[2]،

(1) سورة ص الآيات (71 – 85)، سورة الأعراف الآيات (11- 24)، سورة طه الآيات(115- 123)، سورة الاسراء الآيات(61 - 65)، سورة الحجر الآيات(28- 42)، سورة الكهف الآية 50، سورة البقرة الآيات(30 - 39)، ((ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي ، (324/12)، الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي،(1/ 97).

وسورة طه[3]، وسورة الإسراء[4]، وسورة الحجر[5]،وسورة الكهف[1]، وسورة البقرة[2]، ومضمون القصة هنا: التنبيه على تكريم آدم عليه السلام، وبيان عداوة إبليس لذريته، وحسده لهم

---

(1) قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ == == ٱسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ، {ص: ٧١ ــ ٨٥}

(2) قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ == ==

== شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ ، {الأعراف: ١١ ــ ٢٤}

(3) قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ ، {طه: ١١٥ ــ ١٢٣}

(4) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾، { الإسراء: ٦١ ــ ٦٥}

(5) قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا

ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه، وليشكروا الله على نعمه العظيمة[3]، ولسنا بصدد تتبع كل آية على حدة في كل سورة من السور وإنما سنقوم بعرض القصة[4] من خلال سورة(ص)لنزولها قبل السور التي وردت فيها قصة صراع آدم عليه السلام مع إبليس في السماء حتى أهبط إلى الأرض، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ، {ص: ٧١ ــ ٨٥}. ففي الآيات تصوير للمعركة المستمرة

مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ ، {الحجر: ٢٦ ــ ٣٨}.

(1) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۖ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾، { الكهف: ٥٠}

(2) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ = = = مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ ، {البقرة: ٣٤ ــ ٣٨}

(3) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،للزحيلي، (153/8).

(4) سوف أقف في قصة آدم وابليس مع ابعاد الصراع وصوره ولن ادخل في تفاصيل لا تخدم البحث، كموقع الجنة وهيئة السجود وكيف دخل ابليس في الأمر مع الملائكة الى آخر ما هناك من قضايا حول القصة نجدها مفصلة في كتب التفسير وانما التركيز هنا ينصرف الى الصراع الأزلي بين الانسان والشيطان وهو البعد الأهم في القصة برأيي.

بين الشيطان وأبناء آدم، والتي لا يهدأ أوارها ولا تضع أوزارها. والتي يهدف من ورائها إلى إيقاع أكبر عدد منهم في حبائله، لإيرادهم النار معه، انتقاما من أبيهم آدمﷺ، وقد كان طرده بسببه، وهي معركة صراع معروفة الأهداف؛ ولكنَّ أبناء آدمﷺ يستسلمون لعدوهم القديم[1]

يذكر تعالى عداوة إبليس -لعنه الله - لآدم، ﷺ، وذريته، وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدمﷺ، فإنه تعالى أمر الملائكة بالسجود، فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له؛ افتخارا عليه واحتقارا له قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: 12]، وقال أيضا: ﴿أَرَءَيْتَكَ ﴾ ، يقول للرب جرأة وكفراً، والرب يحلم وينظر ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [2]

كما أنَّ في الآيات إخباراً من الله تعالى بأنه أمر الملائكة بالسجود فسجدوا وكان من ضمن المأمورين إبليس، فامتنع من السجود لآدم ﷺ فلم يسجد له تعظماً وتكبراً عن طاعة الله في السجود لآدم ﷺ، والمراد بالسجود سجود تشريف وتكريم وتعظيم ومحبة لا سجود عبادة وخضوع [3] قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾، { البقرة: ٣٠ }، أي: وإذ قلت للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، فكرمت أباكم آدمﷺ بما آتيته من علمي وفضلي وكرامتي، وإذ أسجدت له ملائكتي فسجدوا له، ثم استثنى من جميعهم إبليس، فدل باستثنائه إياه منهم على أنه كان منهم، وأنه ممن قد أمر بالسجود معهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (3025/5).
(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (93/5).
(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ،(167/5)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي، (116/15).

وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ {البقرة: ٣٤ □ ، فأخبر جل ثناؤه أنه قد أمر إبليس فيمن أمره من الملائكة بالسجود لآدمعليه السلام ،ثم استثناه جل ثناؤه مما أخبرعنهم أنهم فعلوه من السجود لآدم عليه السلام، فأخرجه من الصفة التي وصفهم بها من الطاعة لأمره، ونفى عنه ما أثبته لملائكته من السجود لعبده آدم عليه السلام [1]، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾، { الأعراف: ١٣}، وقال أيضاً: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ ، {ص: ٧٧ ــ ٧٨}،

وقال في موضع آخر ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ ، { الحجر: ٣٤ ــ ٣٥}.

فلما أكرم الله آدم عليه السلام عاداه إبليس وظن أنه يبقى في منزلته وآدم عليه السلام في منزلته مثل متباغضين عند الملك والله كان عالما بالضمائر فأبعده وأظهر أمره، فأظهر هو من نفسه ما يخفيه لزوال ما كان يحمله على الإخفاء فقال: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ ، {الأعراف: ١٦}، وقال:﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ ﴾ ،{الإسراء: ٦٢}.[2]

بعد أن انتهى ذلك الصراع بخروج آدم عليه السلام وزوجته إلى الأرض ومن يوم أن أهبط الله تعالى آدمعليه السلام وزوجه إلى الأرض، وأسكنه وبنيه فيها، وهم يتصارعون ومنذ تلك اللحظة ابتلى الإنسان بكيد الشيطان, وصراعه معه, , وهنا انتقل ميدان الصراع إلى هذه الأرض, صراع ابني آدمعليه السلام، قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (502/1).
(2) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (299/26).

لِئَنۢبَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَٰسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ ،[المائدة: ٢٧ - ٣١]، تروي كتب التفسير أن صراعاً نشأ بين ابني آدم عليه السلام - لصُلْبه وهو ما ذهب إليه الجمهور[1]، أمّا من ذهب لغير ذلك فكلامه مردود من وجوه[2] - نتيجة خلاف على جارية أرادها كل واحد منهما زوجة لنفسه، " كان لا يولد لآدم عليه السلام مولود إلا ولد معه جارية, فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر, ويزوج جارية هذا البطن غلام البطن هذا الآخر، حتى ولد له ابنان يقال لهما: قابيل, وهابيل, وكان قابيل صاحب زرع, وكان هابيل صاحب ضرع، وكان قابيل أكبرهما, وكان له أخت أحسن من أخت هابيل، وإنَّ هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل, فأبى عليه وقال: هي أختي ولدت معي, وهي أحسن من أختك, وأنا أحق أن أتزوجها، فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى"[3]، وقد ذكر الإمام

---

(1)" قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، أن اللذين قربا القربان كانا ابني آدم لصلبه، لا من ذريته من بني إسرائيل. وذلك أن الله عز وجل يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة، والمخاطبون بهذه الآية كانوا عالمين أن تقريب القربان لله لم يكن إلا في ولد آدم، دون الملائكة والشياطين وسائر الخلق غيرهم. فإذ كان معلوما ذلك عندهم، فمعقول أنه لو لم يكن معنيا ب"ابني آدم" اللذين ذكرهما الله في كتابه، ابناه لصلبه، لم يفدهم بذكره جل جلاله إياهما فائدة لم تكن عندهم. وإذ كان غير جائز أن يخاطبهم خطابا لا يفيدهم به معنى، فمعلوم أنه عنى بـ"ابني آدم"، [ابني آدم لصلبه] ، لا بني بنيه الذين بعد منه نسبهم، مع إجماع أهل الأخبار والسير والعلم بالتأويل، على أنهما كانا ابني آدم لصلبه، وفي عهد آدم وزمانه، وكفى بذلك شاهدا."((ينظر: جامع البيان، للطبري،(208،209/10).))

(2) إضافة إلى ما ذكره ابن جرير الطبري في الهامش السابق من أنَّ المراد بابني آدم ابناه لصلبه يؤكد ذلك أيضاً: ===
== 1- الحديث الصحيح عن رسول الله - حيث روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود - قال: قال رسول الله -: {لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان اول من سن القتل} يدل الحديث على أن ابن آدم كان ولده من صلبه لأنه يقول (ابن آدم الأول) والأولية هنا أولية زمانية تاريخية
2- لم يكن يعرف طريقة دفن الجثث مما يؤكد أن زمان القصة كان في فترة طفولة الانسان وليس في عهد بني اسرائيل.
3- إن القصة قد نصت على أنهما ابنا آدم فلا يصح الابتعاد عن ظاهر النص.((ينظر:متفق عليه: البخاري، كتاب: الانبياء، باب خلق آدم، برقم:(3335)، (4 /133)، ومسلم، كتاب: القسامة والمحاربون والقصاص، باب: بيان إثم من سن القتل، برقم:(1677)، (3 / 1303)، مع قصص السابقين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة: الخامسة، ت ط: (1428هـ - 2007م)، (ص 206)، أدب القصة في القرآن الكريم - دراسة تحليلية كاشفة عن معالم الاعجاز، عبد الجواد محمد المحص، الدار المصرية، الاسكندرية ،(ص 108).))

(3)جامع البيان، للطبري، (341/20)، تفسير القرآن العظيم،لابن كثير،(74/2)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، (282/3).

الألوسي[1] في تفسيره أنَّ: آدم عليه السلام جعل افتراق البطون بمنزلة افتراق النسب للضرورة إذ ذاك[2].

وقد بلغ الأمر بينهما مبلغه، فقربا قرباناً، فمن قبل الله قربانه حسم هذا الصراع لصالحه، وكانت الجارية زوجاً له، فلما كان الأمر على غير ما يريد صاحب الباطل هاجت نفسه وقتل أخاه ليمضي إرادته[3]

إنَّ قصة ابني آدم عليه السلام تمثل ملحمة الصراع الدائر بين الخير والشر والحق والباطل، والنفس المطمئنة الراضية المرضية والنفس اللئيمة الأمارة بالسوء، منذ فجر الحياة البشرية وحتى يقوم الناس لرب العالمين، إنها تقدم أنموذجاً لطبيعة الشر والعدوان وأنموذجاً كذلك من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له، كما تُقدم أنموذجاً لطبيعة الخير والسماحة وأنموذجاً كذلك من الطيبة الوادعة، وتقفهما وجهاً لوجه، كل منهما يتصرف وفق طبيعته، وترسم الجريمة المنكرة التي يرتكبها الشر والعدوان الصارخ الذي يثير الضمير ويثير الشعور بالحاجة إلى شريعة نافذة بالقصاص العادل تكف النموذج الشرير المعتدي عن الاعتداء وتخوفه وتردعه بالتخويف عن الاقدام عن الجريمة فإذا ارتكبها ـ على الرغم من ذلك ـ وجد الجزاء العادل المكافأ للفعلة المنكرة كما تصون النموذج الطيب الخير وتحفظ حرمة دمه، فمثل هذه النفوس يجب أن تعيش وأن تصان وأن تأمن في ظل شريعة عادلة رادعة.[4]

ويمكن أن نعدها من أبرز القصص لحياة الانسان على هذه الأرض، وما في هذه الحياة من اصطراع بين الخير والشر، كما أنَّها تحمل بين طياتها الكثير من العظات والعبر، وتكشف عن الجريمة وبواعثها في نفس الانسان وما يترتب على ذلك من عواقب سيئة وإهدار لدم الانسان بدون وجه حق، وهي بعد هذا وذاك قصة قديمة وجديدة في وقت كل واحد، فهي قديمة من ناحية ارتباطها بشخصيتين قديمتين قدم الوجود فهما ولدا آدم عليه السلام اللذان كانا أول نموذج بشري يعيش على وجه هذه الأرض، وهي جديدة باعتبارها نموذجاً متكرراً يحيا بين البشر في كل زمان ومكان[5].

---

(1)هو: محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من مصنفاته: (روح المعاني) في التفسير، و (نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول) في رحلته إلى الآستانة، و (نشوة المدام في العود إلى دار السلام) و (غرائب الاغتراب) ضمنه تراجم الذين لقيهم، توفي في بغداد سنة (1270 هـ). ((الأعلام، للزركلي، (7 / 176).)).

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي،(282/3)

(3) ينظر: جامع البيان، للطبري، (341/20 وما بعدها)، تفسير القرآن العظيم،لابن كثير،(2/ 74وما بعدها)،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، (282/3 وما بعدها).

(4) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، (2/ 874، 875).

(5) ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، عبد الجواد محمد المحص، (صـ صـ:105 - 106).

ومن خلال النظر في ما تقدم لا يخفى أن عداوة إبليس لبني آدم قديمة قدم النوع الانساني في الوجود، فبعد أن رفض إبليس السجود لآدم ﷺ بدأ يكيد له، وبعد اللقاء في الجنة التي كان يسكن فيها آدمﷺ استطاع ابليس أن يوسوس له بالأكل من الشجرة المحرمة، وبعد توبة آدم ﷺ أضمر الشيطان العداوة لكل أبناء النوع الانساني وإلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ ، وهو ما سنوضحه عند الحديث عن الشيطان ودوره في الصراع كسبب رئيس له.

المطلب الثاني: أسباب نشأة الصراع في القصص القرآني

إنَّ الصراع بين الحق والباطل لا يمكن أن يقع إلا بوجود أسباب ودوافع تدفعهما لذلك، ومن أهم الأسباب التي كانت وراء نشأة الصراع بين نبي الله آدم ﷺ وبين إبليس لعنه الله ،وبين ابني آدم كما مر معنا الآتي:

أولاً: الشيطان:

فهو خطر عظيم وعدو لا ينام، فلو نام إبليس لاسترحنا من هذه النظرة التي أنظرها؛ لأنَّ حياته ممتدة، فلو نام إبليس لاسترحنا منه لكن عداوته شديدة لا تنقطع بينه وبين بني آدم ﷺ، ولذلك وجه الله تعالى إلى أبناء آدم- بعد أن بيَّن لهم عداوة إبليس لأبيهم- أربعة نداءات متتالية بوصف البنوة لآدمﷺ، وهو نداء خاص بسورة الأعراف لم يأت في غيرها من سور القرآن التي تناولت قصة آدمﷺ مع إبليس، حذرهم فيها من عدوهم إبليس اللعين، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ... ﴾ ، { الأعراف: ٢٦ }، - وقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ... ﴾ ، {الأعراف: ٢٧} - وقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ... ﴾ ، { الأعراف: ٣١ }، وقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ... ﴾ ، {الأعراف: ٣٥}

وهكذا الكثير من النصوص الأخرى التي بينت حقيقة الشيطان وحذرتنا منه وأمرتنا في استفراغ الجهد لمعاداته وبينت أنه عدو لدود[1]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر: ٦]، فعداوة آدم عليه السلام لإبليس مأمور بها كما في الآية، ولقوله تعالى أيضاً: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ... ﴾ ، {الأعراف: ٢٧}، وإذا ثبت هذا ظهر أنَّ المراد من الآية اهبطوا من السماء وأنتم بعضكم لبعض عدو[2]، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ ﴾ {الأعراف: ٢٤}، وقال أيضاً في موضع آخر: ﴿ ... وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ ﴾ ، { البقرة: ٣٦ }.

كما أنَّ مرد عداوة إبليس لآدم وحواء عليهما السلام لها أبعاد كالحسد والحقد والاستكبار عن السجود واختداعه إياهما حتى أخرجهما من الجنة وعداوته لذريتهما بإلقاء الوسوسة والدعوة إلى الكفر والمعصية[3]، وهو ما سيتضح معنا في السطور التالية:

ثانياً: الحسد والحقد والتكبر:

لقد نبه سبحانه وتعالى إلى أصل الخلق والتكوين، ونبه إلى أن أصل عداوة إبليس لآدم عليه السلام هو أنه يحسد آدم عليه السلام على ما أتاه الله تعالى من تكريم حرم إبليس وذريته منه، فناصب آدمَ عليه السلام العداء لهذه الكرامة، وحاول أن يفض، فيها بالإغراء بالمعاصي، وبذلك فهم أنه بمقتضى الفطرة أنَّ الكرامة والمعصية نقيضان لَا يجتمعان فمن كان عاصياً يتفحش في المعاصي لَا كرامة له، وإن ظهر بين الناس متغطرساً طاغياً، فإن الكرامة ليست هي السلطان، إنما هي الحق، فإن كان مع السلطان الحق توافرت الكرامة، وإن خلا منها فهو المهين المتغطرس، وهذا يشير إلى أن المشركين في إشراكهم لَا كرامة لهم، وإن

---

(1) ينظر: ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، (94/15)، السنن الالهية في الحياة الانسانية وأثر الايمان بها في العقيدة والسلوك، شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، (1/ 121).
(2) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (464/3).
(3) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (464/3).

تعصبوا وغلبت عليهم العنجهية الجاهلية ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ ، [الإسراء: ٦١]. (1)

كما أنَّ إبليس لم يقف عند هذا الحد بل تطاول فقال: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ ، {ص: ٧٦} ! إنَّه الحسد ينضح من هذا الرد، والغفلة أو الإغفال للعنصر الكريم الزائد على الطين في آدم عليه السلام، والذي يستحق هذا التكريم، وهو الرد القبيح الذي يصدر عن الطبيعة التي تجردت من الخير كله في هذا الموقف المشهود، وهنا صدر الأمر الإلهي العالي بطرد هذا المخلوق المتمرد القبيح: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ ، { ص: ٧٧}... وبعد هذا القرار الإلهي بطرد إبليس إلى الأرض تحول الحسد إلى حقد، وإلى تصميم على الانتقام في نفس إبليس، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ ، {ص: ٧٩}..(2)، واقتضت مشيئة الله للحكمة المقدرة في علمه أن يجيبه إلى ما طلب، وأن يمنحه الفرصة التي أراد: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾، {ص: ٨٠}، وعندها كشف الشيطان عن هدفه الذي ينفق فيه حقده: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ، {ص: ٨٢ – ٨٣}، وبهذا تحدد منهجه وتحدد طريقه ومن هنا تبدأ المعركة بين الشيطان وأبناء آدم عليه السلام، يخوضونها على علم، والعاقبة مكشوفة لهم في وعد الله الصادق الواضح المبين، وعليهم تبعة ما يختارون لأنفسهم بعد هذا البيان، وقد شاءت رحمة الله ألا يدعهم جاهلين ولا غافلين، فأرسل إليهم المنذرين.

ومن خلال النظر في قصة ابني آدم نجد أنَّ الشيطان بدأ في تنفيذ خطته وإظهار عداوته لبني آدم مشعلاً نار الحقد والحسد من خلال وسوسته لقابيل بقتل أخاه هابيل فقد وسوس الشيطان له وأثار في نفسه معاني الحقد والكراهية وأيقظ نوازع القتل والاعتداء وكانت نفسه الباغية الشريرة، تدعوه الى القتل، وتلح عليه إلحاحاً مستمراً وتطوعه للقتل

(1) ينظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة، (4414/8)
(2) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (5/ 3028).

تطويعا فتسهله وتزينه له وترغبه فيه وتشجعه عليه، وكانت تتولى إسكات صوت المنطق والعقل والحق فلا تسمعه إلاَ صوت الحقد ولا تريه إلاّ صورة القتل ولا تقدم له إلاّ معاني العدوان، وعاش ذلك البائس التعيس فترة مريرة قاسية عنيفة من هذا الصراع النفسي الحاد العنيف ووقع في حيرة بالغة: لمن يستجيب؟ وأي الأصوات يسمع؟ وأي طريق يسلك؟ وأخيراً انتصر الشيطان وانتصر الحقد والعدوان وانتصرت نفسه الشريرة الباغية، وطوعت له قتل أخيه وسهلته له[1] قال تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ، {المائدة: ٣٠} ، وفي هذا السياق قال الإمام محمد رشيد رضا[2]: " ولم أر أحدا شرح بلاغة هذه الكلمة ﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ ﴾ ، في هذا الموضوع ببعض ما أجد لها من التفسير في نفسي. وإنها لبمكان من البلاغة يحيط بالقلب ويضغط عليه من كل جانب، إنني أكتب الآن وقلبي يشغلني عن الكتابة بما أجد لها فيه من الأثر والانفعال. إنَّ هذه الكلمة تدل على تدريج وتكرار في حمل الفطرة على طاعة الحسد الداعي إلى القتل كتذليل الفرس والبعير الصّعب؛ فهي تمثل - لمن يفهمها - ولد آدم الذي زين له حسده لأخيه قتله، وهو بين إقدام وإحجام، يفكر في كل كلمة من كلمات أخيه الحكيمة، فيجد في كلٍ صارفاً له عن الجريمة، يدعم ويؤيد ما في الفطرة من صوارف العقل والقرابة والهيبة، فيكرّ الحسد من نفسه الأمارة على كل صارف في نفسه اللوامة فلا يزالان يتنازعان ويتجاذبان، حتى يغلب الحسد كلاّ منها، ويجذبه إلى الطاعة فإطاعة صوارف الفطرة وصوارف الموعظة لداعي الحسد، هو التطوع الذي عناه الله تعالى، فلما تمَّ كل ذلك قتله "[3]، ﴿ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

---

(1) ينظر: مع قصص السابقين في القرآن، للخالدي، (صـ صـ 217، 218).

(2) هو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، وأصبح مرجع الفتيا، في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة، من أشهر آثاره ومصنفاته: مجلة (المنار) أصدر منها 34 مجلداً، و تفسير القرآن الكريم؛ طبع ولم يكمله، ونداء للجنس اللطيف، و الوحي المحمدي، و يسر الإسلام وأصول التشريع العام، و الخلافة ، و الوهابيون والحجاز، و محاورات المصلح والمقلد، و ذكرى المولد النبوي، و شبهات النصارى وحجج الإسلام، توفي ودفن بالقاهرة، سنة:(1354هـ)، ((ينظر: الأعلام، للزركلي، (6/ 126، 127).))

(3) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، (285/6)

فالقصة تأتي كنموذج لطبيعة الشر والعدوان الصارخ الذي لا مبرر له سوى الحسد والجري وراء حظ النفس بغير حق، صراع بين صاحب حق وصاحب باطل، أراد فيه الباطل أن ينتصر لنفسه ولو بجريمة نكراء يكون فيها اعتداء على حرمة الدم، وأي دم؟ إنه دم أخيه! كما ترسم الجريمة المنكرة التي يرتكبها الشر، والعدوان الصارخ الذي تشمئز منه النفس، يقول المراغي[1]: "وقد حدث بينهم من أجل التحاسد سفك الدماء وقتل الأخ أخاه وبذر تلك البذور السيئة فى بنى آدم إلى قيام الساعة."[2]

ثالثاً: الضعف البشري:

من خلال ما تقدم معنا نجد أنَّ الشيطان قد أخذ العهد على نفسه لإغواء بني آدم وأنَّ الله أخبرنا بأنَّه عدونا اللدود وحذرنا من اتباعه، وكيف أنَّه أخرج أبوينا من الجنة، ومع ذلك لم نحتاط لحبائله ووساوسه وتزينه الشر والباطل، مستغلاً الضعف البشري الذي يستدرجنا عن طريقه بواسطة حبائله للإيقاع بنا، كما فعل مع أبونا آدم عليه السلام في تزينه له الأكل من الشجرة وأوقعه في مخالفة أمر ربه ونسيانه العهد الذي أخذه الله عليه لسان حاله يقول: إنَّ هذا الكائن المتفرد الذي كرمه الله كل هذا التكريم والذي أعلن ميلاده في الملأ الأعلى في ذلك الحفل المهيب والذي أسجد له الملائكة فسجدوا والذي أخرج بسببه إبليس من الجنة وطرده من الملأ الأعلى؛ إنَّ هذا الكائن مزدوج الطبيعة مستعد للاتجاهين على السواء، وفيه نقط ضعف معينة يقاد منها- ما لم يلتزم بأمر الله فيها - ومن هذه النقط يمكن إصابته، ويمكن الدخول إليه؛ إنَّ له شهوات معينة، ومن شهواته يمكن أن يقاد [3]، وبناءً على تلك الطبيعة راح إبليس يداعب هذه الشهوات: قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ، {الأعراف: ٢٠} ... وهكذا وسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما فهذا كان هدفه لقد كانت لهما سوآت، ولكنها كانت مواراة عنهما لا يريانها - وسنعلم من السياق أنها سوآت حسية جسدية تحتاج إلى تغطية مادية، فكأنها عوراتهما- ولكنَّه لم يكشف

(1) هو: أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة: (1909 م) ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. له مصنفات، منها (الحسبة في الإسلام) ، و (الوجيز في أصول الفقه) و (تفسير المراغي) ثمانية مجلدات، و (علوم البلاغة)، توفي بالقاهرة سنة: (1952م)، ((ينظر: الأعلام، للزركلي، (258/1).)).

(2) تفسير المراغي، للمراغي، (97/6).

(3) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب1268/3).

لهما هدفه بطبيعة الحال! إنَّما جاءهما من ناحية رغائبهما العميقة: ﴿ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾، بذلك داعب رغائب الإنسان الكامنة، إنَّه يجب أن يكون خالداً لا يموت أو معمراً أجلاً طويلاً كالخلود! ويجب أن يكون له ملك غير محدد بالعمر القصير المحدد وفي قراءة: «ملكين» بكسر اللام، وهذه القراءة يعضدها النص الآخر في سورة طه: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾، وعلى هذه القراءة يكون الإغراء بالملك الخالد والعمر الخالد، وهما أقوى شهوتين في الإنسان بحيث يمكن أن يقال: إنَّ الشهوة الجنسية ذاتها إن هي إلا وسيلة لتحقيق شهوة الخلود بالامتداد في النسل جيلا بعد جيل- وعلى قراءة «ملكين» بفتح اللام يكون الإغراء بالخلاص من قيود الجسد كالملائكة مع الخلود؛ ولكن القراءة الأولى- وإن لم تكن هي المشهورة- أكثر اتفاقا مع النص القرآني الآخر، ومع اتجاه الكيد الشيطاني وفق شهوات الإنسان الأصيلة.[1]

ولما كان اللعين يعلم أنَّ الله قد نهاهما عن هذه الشجرة وأن هذا النهي له ثقله في نفوسهما وقوته فقد استعان على زعزعته - إلى جانب مداعبة شهواتهما- بتأمينهما من هذه الناحية فحلف لهما بالله إنه لهما ناصح، وفي نصحه صادق، ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ ، {الأعراف: ٢١}، أي: حلف لهما بالله حتى خدعهما، وقد يخدع المؤمن بالله، فقال: إني خلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتبعاني أرشدكما، وكان بعض أهل العلم يقول: "من خادعنا بالله خدعنا له"[2].

وتحت تأثير الشهوة الدافعة والقسم المخدر نسي آدمعليه السلام وزوجه أنَّ الشيطان عدوهما الذي لا يمكن أن يدلهما على خير! وأنَّ الله أمرهما أمراً عليهما طاعته سواء عرفا علته أم لم يعرفاها! وأنَّه لا يكون شيء إلا بقدر من الله، فإذا كان لم يُقَدَرُ لهما الخلود والملك الذي لا يبلى فلن ينالاه! نسيا هذا كله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ

(1) ينظر: ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (3/ 220،221)، فتح القدير، للشوكاني، (222/2)، في ظلال القرآن، سيد قطب، (3/ 1268- 1269).
(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (397/3).

عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ ، {طه: ١١٥} أي: نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه من ذلك بقوله -﴿ ...إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ ﴾ ، { طه: ١١٧ }، ولو كان له عزم ما أطاع عدوه الذي حسده، وأبي أن يسجد له مع من سجد له ، وعصى الله الذي كرمه وشرفه، وأمر ملائكته فسجدوا له[1]،وقد دل ذلك على ضعف القوة البشرية عن التحفظ[2]، وقيل: نسي ذلك بما أظهر لهما وقيل: نسي ذلك بما أظهر الشيطان من النصيحة والحلف على توهم أنَّ أحدا لا يحلف كاذباً[3] فاندفعا يستجيبان للإغراء! ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ، {الأعراف: ٢٢}

يقول سيد قطب[4] " لقد تمت الخدعة وآتت ثمرتها المرة، لقد أنزلهما الشيطان بهذا الغرور من طاعة الله إلى معصيته، فأنزلهما إلى مرتبة دنيا: ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ ﴾ ! ولقد شعرا الآن أن لهما سوآت، تكشفت لهما بعد أن كانت مواراة عنهما. فراحا يجمعان من ورق الجنة ويشبكانه بعضه في بعض ﴿ يَخْصِفَانِ ﴾ ويضعان هذا الورق المشبك على سوآتهما - مما يوحي بأنها العورات الجسدية التي يخجل الإنسان فطرة من تعريها، ولا يتعرى ويتكشف إلا بفساد في هذه الفطرة من صنع الجاهلية ! ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾... وأمام النداء العلوي يتكشف الجانب الآخر في طبيعة هذا الكائن المتفرد، إنَّه ينسى ويخطئ، إنَّ فيه ضعفاً يدخل منه الشيطان، إنه لا

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (18/ 383)،
(2) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي، (22، 105).
(3) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (217/3)
(4) هو: سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط، انضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم، وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب، له مصنفات كثيرة منها: (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) و (كتب وشخصيات) و (أشواك) و (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (السلام العالمي والإسلام) و (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق)، أعدم سنة (1387هـ). ((ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الطبعة: الخامسة عشر، ت ط: (أيار / مايو 2002 م)، دار العلم للملايين، (3 / 147 ، 148).).

يلتزم دائما ولا يستقيم دائما؛ ولكنه يدرك خطأه ويعرف زلته ويندم ويطلب العون من ربه والمغفرة، إنه يثوب ويتوب ولا يلح كالشيطان في المعصية، ولا يكون طلبه من ربه هو العون على المعصية "[1]

وهنا تكون التجربة الأولى قد تمت، وتكشفت خصائص الإنسان الكبرى، وعرفها هو وذاقها، واستعد- بهذا التنبيه لخصائصه الكامنة- لمزاولة اختصاصه في الخلافة وللدخول في المعركة التي لا تهدأ أبدا مع عدوه، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ٢٥ ﴾، { الأعراف: ٢٤ ــ ٢٥} [2] لقد هبطوا جميعا إلى الأرض، آدمعليه السلام وزوجه، وإبليس وقبيله، هبطوا ليصارع بعضهم بعضا، وليعادي بعضهم بعضا ولتدور المعركة بين طبيعتين وخليقتين: إحداهما ممحضة للشر والأخرى مزدوجة الاستعداد للخير والشر وليتم الابتلاء، ويجري قدر الله بما شاء.[3]

المطلب الثالث: طبيعة الصراع في القصص القرآني

لقد انتهت المعركة إذن بالتوبة على آدم عليه السلام وبإهباطه إلى الأرض وشتان بين معصية آدم عليه السلام وإبليس فآدم عليه السلام عصى وندم وإبليس عصى وتكبر ولم يندم، من هنا أصبح من المرجومين المطرودين إلى قيام الساعة؛ بعد هذا العرض الذي تقدم معنا لتفاصيل المعركة الأولى بين الإنسان والشيطان والذي نتج عنه استحكام العداء بين الشيطان والإنسان، علينا أن نعرف أنَّ الجنة هي ميدان الصراع الأول وأنَّ الأرض ستكون هي ميدان المعركة الثانية وسيقوم إبليس فيها بتطبيق أفعاله الذميمة ووساوسه القبيحة على ذرية آدم، وهذا ما اقتضته الحكمة الإلهية، ليكون ابتلاء الله تعالى للبشر على أوسع نطاق، فالإنسان هو خليفة الله على هذه الأرض، والشيطان هو مصدر الشر وهدفه أن يعرقل مسيرة الانسان في قيادته الأرض إلى الإصلاح والإعمار، فالأرض هي ميدان الصراع الدائم، وإبليس يتحين كل الفرص للإيقاع بهذا الانسان؛ فقضية: أنَّ الشيطان هو عدو الانسان الأول، هي: حقيقة واقعية لا يمكن للإنسان أن ينساها أو يغفل عنها ويجب عليه ألاَّ

---

(1) في ظلال القرآن ، (3/ 1268- 1269).
(2) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (3/ 1270)
(3) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (3/ 220،221)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (صـ 285).

تفوته العبرة المتوخاة من قصة معركته الأولى مع إبليس عندما أخرج أبويه من الجنة كما ذكرها القرآن الكريم[1].

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ ، { الأعراف: ٢٤}، ففي هذا الحكم الصادر عليهما- إبليس وآدم عليه السلام- وعلى ذريتهما الذين سيتناسلون منهما نقل لرحلة الابتلاء من الجنة المعدة في الخطة الربانية لأن تكون إحدى داري الجزاء إلى الأرض التي نحن فيها والمعدة في أصل الخطة الربانية لأن تكون هي مكان الابتلاء وأنَّ الخلود السعيد لا يكتسب بالأكل من شجرة أو مادة ما فيها إكسير الخلود السعيد وإنما يكون بالعمل الإرادي الذي يتحقق به رضوان الله رب الأكوان والمهيمن على كل شيء فيها بعلمه وحكمته وقدرته والمجري أحداثها بقضائه وقدره وخلقه،[2] والأمر بالهبوط موجه لآدم وزوجه عليهما السلام وإبليس عليه اللعنة [3]؛ أمَّا وجه العداوة الكائنة بين بني آدم بعضهم مع البعض الآخر فهو راجع إلى التكوين النفسي للناس القائم على حرية إرادة الفرد، وعلى اختلاف المصالح والأهواء والشهوات والمطالب وعلى تعارضها وتباينها مع التزاحم والتنافس وما في النفوس من تحاسد من شأنه أن تظهر بينهم العداوات وهي عداوات تكون بين الأفراد وبين الجماعات الصغرى ثم بين الأقوام والأمم وهي تظهر في شتى أنواع سلوكهم وتحركاتهم حتى تصل إلى مكايد كثيرة بينهم وإلى خصومات شديدات ثم إلى مقاتلات وحروب كبرى وهكذا كان واقع حال الناس في تاريخهم الطويل[4]

يعتبر الصراع قديم بقدم الإنسانية بدأ مع بدء الخليقة، فمنذ خلق الله فيها آدم عليه السلام وأسجد له ملائكته الكرام أعلن إبليس حربه على هذا المخلوق الجديد وعاهد ربه على إغوائه وإضلاله، وهذا الصراع بين الشيطان وحزبه مع المؤمنين باقٍ إلى يوم القيامة، فهو صراع ماضٍ لا مناص منه، إنَّه سنة من سنن الله الثابتة أبد الدهر.

---

(1) ينظر: في ظلال القرآن، (4/ 2355).
(2) ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر، للميداني، (4/ 146 - 147).
(3) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (67/8)
(4) ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر، للميداني، (149/4)، ويشير السيد الميداني إلى أنَّ: العداء في النص بين الشيطان وبني آدم لأن الإشارة إلى عداوة الشيطان قد جاءت في قوله تعالى: ﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ ،{طه: ١١٧}، ولكن أقول لا محظور إن قلنا ان العداوة بين بني الانسان بعضهم مع البعض الآخر ناتجة عن تحرش الشيطان بينهم وعداوته لهم.

وقد مارس الشيطان حربه مع آدم عليه السلام بنفسه حين أزله فأكل من الشجرة، ثم تمثل هذا الصراع بين ابني آدم حين تقبل الله من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، فقتل الآخر أخاه، كما تمثل هذا الصراع بين الحق والباطل على مدى الزمان بالصراع بين الرسل وأتباعهم من جانب، والشيطان وأوليائه من جانب آخر، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ ، { الأنعام: ١١٢ }، وفي توصيف معركة الصراع نجد أنَّها معركة تتجمع فيها قوى الشر في هذا الكون شياطين الإنس والجن تتجمع في تعاون، وتناسق لإمضاء خطة مقررة هي عداء الحق الممثل في رسالات الانبياء، وحزبه؛ خطة مقررة فيها وسائلها، قال تعالى: ﴿ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ ﴾، يمد بعضهم بعضا بوسائل الخداع، والغواية، وفي الوقت ذاته يغوي بعضهم بعضا! وهي ظاهرة ملحوظة في كل تجمع للشر في حرب الحق وأهله، إنَّ الشياطين يتعاونون فيما بينهم، ويعين بعضهم بعضاً على الضلال أيضاً! إنهم لا يهدون بعضهم البعض إلى الحق أبداً، ولكن يزين بعضهم لبعض عداء الحق، وحربه، والمضي في المعركة معه طويلاً[1].

وقد جاءت السنة المطهرة لتؤكد بكل وضوح أنَّ الصراع بين الحق والباطل ماضٍ إلى يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي أمر الله وهم كذلك))[2] والحق والباطل بينهما صراع منذ أن خلق الله الإنسان, قال عز وجل: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ ، { طه: ١١٧} من هنا يمكن القول" أنَّ الصراع ضرورة بشرية "[3]، والإسلام وهو يقرر حتمية الصراع بين الحق والباطل يقرر هذا على أساس أنه ضرورة لازمة لمنع الفساد في الأرض، ولإيجاد التوازن في الحياة البشرية، وأنه لهذا السبب موجود في بنية النفس الإنسانية، ففي كل العصور والأزمنة نجد الصراع قائما بين الحق والباطل، فالأنبياء

---

(1) في ظلال القرآن، (3/ 1190)

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، برقم: (1920)، (3/1523).

(3) في النفس والمجتمع، محمد قطب، (صـ 47).

والمرسلون كان لهم خصوم وأعداء من أقوامهم ناهضوا دعواتهم ،وحاربوها لكنهم وقفوا في ثبات، وقوة عزم، وصبر، يناضلون لتثبيت دعائم مبادئهم ويدافعون لإرساء قواعد شرائعهم[1]

فإذا أمكننا أن نفهم هذه البديهية العقلية أمكننا أن نفهم حتمية الصراع الازلي بين الحق والباطل، فالكون قائم على التنازع بين الحق والباطل، وأنَّ هذه سنة من سنن الله سبحانه وتعالى في الأمم، والأفراد، فضلاً عن كونها سنة كونية لا يستثنى منها مخلوق فهذه السنة جارية على إقرار الحق وإحقاقه في التكوين، وإزهاق الباطل، وإبطاله، وأنَّ الباطل يفنى، ويعفى أثره، ويبقى الحق على جلائه، إذ الدولة في نهاية المطاف له وإن كانت للباطل جولة أحياناً[2]، وهذه الحتمية تتمثل في أنَّ الحق والباطل ضدان، والضدان لا يجتمعان كما أن تطبيق أحدهما يستلزم مزاحمة الآخر، وطرده، ودفعه، وإزالته، أو على الأقل إضعافه، ومنعه من أن يكون له تأثير واقع في الحياة، فلا يتصور أن يعيش الحق والباطل في سلم من دون غلبة أحدهما على الآخر إلاَّ لعلة كضعف أصحابهما، أو جهلهم بمعاني الحق، ومقتضيات ولوازم هذه المعاني، وضعف تأثير هذه المعاني فيهم[3].

من خلال ما تقدم : نجد أنَّ صراع الشيطان مع الإنسان في الأرض، يأخذ أبعاداً مختلفة، لكَّنه في مجمله ينطلق من البذور التي بذرها الشيطان في قصة صراعه الأولى مع الإنسان، وقد جاء القرآن الكريم كاشفاً لهذه الصور الأخرى من الصراع التي هي امتداد للصراع الأول، وقد يكون الصراع مباشر كاعتداء الأفراد بعضهم بعض إلى حد الضرر والأذى وباستخدام القوة والعنف كما مرَّ معنا في قصة ابني آدم.

وقد يكون غير مباشر: يتمثل في سعي كل فرد أو فريق إلى تحقيق مصلحته بما يعوق تحقق المصلحة للآخرين خصوصاً إذا كان الهدف المنشود واحداً وهذا يظهر جلياً في صراع إبليس مع آدم عليه السلام.

(1) ينظر: صراع بين الحق والباطل، سعد صادق محمد، (صـ صـ 8، 9).
(2) ينظر: السنن الالهية في الامم والأفراد، مجدي عاشور، (صـ353).
(3)ينظر: السنن الالهية في الامم والأفراد والجماعات، عبد الكريم زيدان، (صـ 46).

المبحث الثاني: صور من مظاهر الصراع في القصص القرآني.

من خلال ما تقدم في المبحث الأول عن نشأة الصراع وأسبابه وطبيعته، نجد أنَّ الآيات صورت بداية هذا الصراع بأبلغ عبارة اذ أظهر الشيطان ممثلاً للباطل بكل أوصافه وخصائصه، وأظهر آدم عليه السلام ممثلاً للحق بكل أوصافه وخصائصه، والمدقق في العبارة القرآنية يجد أنَّ الصراعات التي توالت بين الحق والباطل فيما بعد ما هي إلاّ صدداً وانعكاساً لهذا الصراع الأول بكل أبعاده وملامحه، فقد بذر إبليس عليه اللعنة بذرة التكبر والإستعلاء والغرور واتباع الهوى التي هي أبعاد الصراع بين الحق والباطل، وسن آدم عليه السلام طريق الإستقامة والثبات على الحق والأوبة بعد السقوط؛ إنَّ قصة الصراع الأولى تمثل لنا نموذجين نموذج الباطل ونموذج الحق، ولنقف الآن على صور من مظاهر ذلك الصراع الذي يأخذ بعدين لا ثالث لهما: صراع إسلامي، وصراع جاهلي.

أمَّا الصراع الإسلامي فهو الصراع الذي يكون لإصلاح الأرض وتمكين الخير ولهداية البشر بالكفاح مع الشر، ويكون بالتنافس في المسابقة في الخيرات وقضاء حوائج الناس وتفريج الكربات، ويكون بمجاهدة النفس للتغلب على قوى الشر والسلب والتفوق عليها.

أمَّا الصراع الجاهلي: فهو ما كان على عرض من أعراض الدنيا الزائلة التي تشتجر فيها الأطماع وتتعارض فيها المصالح وتختلف فيها الاتجاهات، والمنافسة للوصول إلى تحقيق الرغبات والشهوات المادية والمعنوية وفق أسلوب بعيد عن منهج الله تعالى، فهو وراء المرأة والخمرة والكسب الحرام واللهو والزينة والفخر والحياة، وكل ما يعتبر نافعاً أو رافعاً أو مبهجاً،

وللوصول إلى تحصيل ذلك والسبق إليه فهو يظلم ويأثم ويتعدى حدود الله وحرماته في النفس والمال والعرض في سبيل تحصيل شيء من المال أو الشهرة أو أي غرض دنيوي زائل.

ومن صور ذلك الصراع الجاهلي: الصراع الطائفي، الصراع العنصري، الصراع الطبقي وهذا ما تشير إليه قصة الصراع الأولى بين آدم عليه السلام وإبليس عليه اللعنة، وبين ابني آدم في قصة صراعهما، وذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الصراع الطائفي.

المطلب الثاني: الصراع العنصري.

المطلب الثالث: الصراع الطبقي.

المطلب الأول: الصراع الطائفي.

هو: الذي ينشأ بسبب الإختلاف في الدين أو في غير ذلك وتمزق الوحدة وتفرق الصف بين الطوائف المختلفة التي تعيش في المجتمع[1]

وبالنظر في قصة آدم عليه السلام وصراعه مع أبليس نجد أنَّ: إبليس في قصة صراعه الأولى مع الانسان قد بذر بذور المتاجرة بالدين، يظهر ذلك من خلال توعده لإضلال بني آدم وإغوائهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾، { الحجر: ٣٩} أي: لأزينن لهم الباطل، أو لأزينن لهم المعاصي؛ والمراد بالتزيين لهم في الأرض غرورهم في هذه الحياة الدنيا، وهو السبب القريب للإغواء[2]لقد اعتمد الشيطان فقه التزيين والإغواء فهذا الفقه وحده يحافظ على الشذوذ وينقله من عصر إلى عصر ويطالعنا إبليس بوسيلة أخرى من وسائل تنفيذ خطته ألآ وهي وسيلة الإحتناك التي جاءت الإشارة إليها في قوله تعالى ﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ ﴾ ، {الإسراء: ٦٢}

والاحتناك: الاقتطاع من الأصل يقال: احتنك فلان من مال أو علم إذا استقصاه فأخذه كله، واحتنك الجراد الزرع إذا أكله كله، وحنك الدابة بحبلها إذا جعل في حنكها الأسفل حبلاً يقودها به؛ والمعنى الأخير هو الأصل في الباب، فالإحتناك: الإلجام كأن المعنى لأقودهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحبلها إلاّ قليلاً من ذريته وهم المخلصون[3]، إنَّه فقه تلجيم العقول وتكميم الأفواه وتعصيب العيون، فقه لايخدم إلاّ الغوغاء وتجار الشهوات؛ لنثر الانحراف والشذوذ تحت لافته براقة تنادي: بالديمقراطية وحرية الانسان فيما يختار من تزيين الشيطان؛ إنه فقه يحمي الهجوم بالانحراف لتدمير الجنس البشري بأيدي الجنس البشري[4]

---

(1)الثورة الفلسطينية، محمد جلال كشك، (صـ75)، عوامل حماية المجتمع من الصراعات في ضوء الكتاب والسنة، رسالة ماجستير، إعداد الطالب، حياة صديق حمزة عبدالواحد، (صـ25)

(2)ينظر: تفسير الميزان ـ الطبطبائي ـ،(164/12).

(3) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (366/21)، محاسن التأويل، للقاسمي، (6/ 474).

(4) ينظر: الانحرافات الكبرى، سعيد ايوب، (صـ صـ 23 ،24).

كما يتضح صراع إبليس طائفياً أي متاجرته بالدين، وجعل الناس تدين بغير دين الله تعالى في إعلان خطته لإغواء بني آدم، قال تعالى: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ ، {النساء: ١١٨ ــ ١١٩}، فهو هنا يفصح أنه سيستخلص أناساً يغويهم ويضلهم، وعبر عن هذا الاستخلاص بالنصيب المفروض، كأن هؤلاء الضالين نصيب إبليس الواجب له، وإضلالهم يكون بالإشتغال بعبادة غير الله وباقتراف المعاصي وإغرائهم بالإشتغال بالآمال والأماني التي تصرفهم عن الإشتغال بواجب شأنهم وما يهمهم من أمرهم، ثم يأمرهم بشق آذان الأنعام وتحريم ما أحل الله وأمرهم بتغير خلق الله، وينطبق على مثل الأخصاء، وأنواع المثلة، واللواط، والسحاق، وليس من البعيد أن يكون المراد بتغير خلق الله، الخروج عن حكم الفطرة وترك الدين الحنيف.[1]

كما يتضح متاجرته بالدين في قوله: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ ، {الأعراف: ١٦ }، فكل الذين ظهروا بعد ذلك وتاجروا بالدين وحرفوا الكلم عن مواضعه، فإنما زادهم كان من فقه الشيطان الذي كمن لهم على الصراط المستقيم فهو قد عمل عرقلة طريق العبادة التي من أجلها خلق الله الجن والإنس قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾، {الذاريات: ٥٦ }، أي: الغرض العبادة بمعنى كونهم عابدين الله لا كونه معبوداً[2] فقد قال (لِيَعْبُدُونِ) ولم يقل: لأعبد أو لأكون معبوداً لهم فالله هو المعبود الحق، وهو سبحانه قد بين للجن والإنس كيف يعبدوه، فالعبادة هي أن تعبد الله كما يريد الله وإبليس أدلى بدلوه في اتجاهين .. **الاتجاه الأول:** أنه وسوس للإنسان بعيداً عن المعنى المقصود (لِيَعْبُدُونِ) ونصب خيمته في مربع لأكون معبوداً لهم، ووفقاً لتصورات هذا المربع تم عبادة

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، للقرطبي، (5 / 388-389) ، وتفسير الميزان، للطبطبائي، (5 / 84).
(2) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (4/ 406)، مفاتيح الغيب، للرازي، (28 /192)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (8 /144)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (17 / 55 - 56).

الأصنام والطاغوت على امتداد المسيرة البشرية، **والاتجاه الثاني**: وسوس للإنسان ليعرقل المسيرة نحو المعنى المقصود، لقوله تعالى: (لِيَعْبُدُونِ)، فالله تعالى بين لعباده كيفية عبادته على لسان رسله عليهم السلام، ولما كانت دعوة الرسل على صراط مستقيم، فإن إبليس نصب له خيمة على هذا الصراط مهمتها الصد عن سبيل الله، وعرقلة الطريق أمام العبادة الحقة، وتلاميذ إبليس على هذا الصراط هم المنافقون على امتداد التاريخ[1] فهذا بعض إيحاء قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ ، {الأعراف: ١٦}،

وفي قصة ابني آدم هناك ملمح للصراع الطائفي قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾، { المائدة: ٢٧}، والنبأ هو الخبر العظيم ذو الشأن الذي يستدعي دراسة وعناية، ولا شكَّ أنَّ خبر ابني آدم (خبر له شأنه) بما فيه من قتل الأخ لأخيه من غير جريمة ارتكبت، ولا شر وقع، ولا اعتداء، بل بسبب العبادة الخالصة لوجه الله تعالى، فما كان سبب الاعتداء إلا ذلك؛ ولذا ذكر سبحانه وقت الجريمة، وهو سببها، وباعثها، مما يدل على أنَّ القلب الخبيث لا يدفعه فعل الخير المقبول إلاَّ إلى الأذى الممقوت، فقال: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾ أي: اذكرهما ذكراً حقاً صادقاً في الوقت الذي قرباً فيه قرباناً، وكانت نتيجة القربان تقبلاً حسناً من أحدهما وعدم تقبل من الآخر، فكان من وراء ذلك الاعتداء الشنيع من الذي لم يقبل قربانه، والقربان العبادة التي يتقرب بها إلى الله تعالى[2]

كذلك صراع جميع الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، هو صراع طائفي أي على الدين في المقام الأول، قال تعالى: ﴿ ...وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ ...﴾، { البقرة: ٢١٧}.

(1) ينظر: الانحرافات الكبرى، سعيد ايوب، (صـ صـ19، 20).
(2) ينظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة، (2122/4، 2123).

المطلب الثاني: الصراع العنصري

هو الذي ينشأ بسبب الإعتقاد بتفوق جنس على جنس آخر بسبب اللون أو اللغة أو الجنس أو الأرض أو الأصل،[1] كا العنصرية من جانب البيض ضد السود؛ لأنهم يبررون اضطهاد واستغلال السود بسب لونهم ويؤمنون بتفوق الجنس الأبيض وحقه في استعباد الجنس الأسود وامتلاك أرضه[2]

وإبليس هو أول من بذر بذور الاستعلاء والتحقير بقوله (أنا خير) من آدمعليه السلام وهذه المقولة كان لها أثرها في بروز فقه التحقير والإستعلاء لدي طائفة من الناس، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ ، {ص: ٧١ ــ ٧٦}، فإنه تعالى أمر الملائكة بالسجود فسجدوا كلهم إلاَّ إبليس استكبر وأبى أن يسجد له افتخارا عليه واحتقارا له، وقال أأسجد لمن خلقته من الطين، وأنا مخلوق من النار كما جاء فى الآية الأخرى: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ ، فكفر بنسبة ربه إلى الجور بتخيله أنه أفضل من آدمعليه السلام من قبل أنَّ الفروع ترجع إلى الأصول، وأنَّ النار التي هى أصله أكرم من الطين الذي هو أصل آدم عليه السلام، وقد فاته أنَّ الطين أنفع من النار، ولئن سلم غير هذا فالأجسام كلها من جنس واحد، والله هو الذي أوجدها من العدم، ويفضّل بعضها على بعض بما يحدث فيها من الأعراض، وقال أيضاً لربه جرأة وكفراً، والرب يحلم وينظر: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ ، {الإسراء: ٦٢ }، أي: أخبرنى أهذا الذي كرّمته عليّ؟ وهل يوجد ما يدعو إلى تفضيله عليَّ، وهذا كلام قاله على وجه التعجب والإنكار [3]

---

(1) ينظر: عوامل حماية المجتمع من الصراعات، رسالة ماجستير، (صـ 25)
(2) الثورة الفلسطينية، محمد جلال كشك،:(صـ صـ73، 74).
(3) ينظر: تفسير المراغي، للمراغي، (69/15).

فإبليس رفض أمر الله بالسجود لآدمعليه السلام، تكبراً منه واستعلاء؛ لأنَّه رأى أنَّ النار المخلوق منها أشرف من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام، لعلوها وصعودها وخفتها؛ ولأنَّها جوهر مضيء، قال المفسرون[1]: أول من قاس إبليس، فأخطأ القياس، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله مع إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إلاَّ بالمقاييس، أي: المقاييس الفاسدة التي منها تفضيل النار على الطين، **وهو خطأ، لما يأتي:** أمَّا جوهر الطين ففيه الرزانة والسكون، والوقار والأناة، والحلم، والحياء، والصبر، وهذا ما دعا آدم عليه السلام إلى التوبة والتواضع والتضرع، والنار سبب للعذاب، وهي: عذاب الله لأعدائه، وليس التراب سبباً للعذاب، وذلك يدل على أنَّ التراب أفضل من النار.[2]

فعندما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام سجدوا ولم يشذ في هذا المشهد المهيب سوى إبليس قال ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ﴾، لقد علل عدم سجوده بما يدعيه من شرافة ذاته، وأنه لكونه خلقه من نار خير من آدمعليه السلام المخلوق من طين، وكأنه بهذا التعليل يزعم أنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول، يعني لعنه الله: وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له؟ ثم بين وجه هذه الخيرية بأنَّه خلق من نار، والنار أشرف من الطين الذي خلق منه آدمعليه السلام فنظر اللعين إلى أصل العنصر الذي خلق منه ولم ينظر الى التشريف العظيم الذي ناله آدمعليه السلام وهو أنَّ الله تعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وقاس قياساً فاسداً في مقابلة نص قوله تعالى للملائكة، ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾ ، {ص: ٧٢ }، كما أنه لم ينظر لعنه الله لأمر من أمره بالسجود، وهو الله جل جلاله ثم أن إبليس حتى في دعواه أنَّ النار أشرف من الطين ادعاء غير صحيح، فإنَّ الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبت، وهو محل النبات والنمو والزيادة، والنار من شأنها الاحراق والطيش والسرعة[3]، وهذا الادعاء الإبليسي قائم على فريتين قاعدتهم التوهم الباطل ودافعهما الكبر وحب الاستعلاء ولو بغير حق، **الفرية الأولى:** إنَّ من كان مخلوقاً من عنصر أو عناصر أشرف، كان هو أشرف دواماً، ولو ظهرت منه بعد خلقه قبائح ومنكرات وأشياء خسيسة، لم تظهر ممن كان مخلوقاً من عناصر أقل قيمة من عناصره التي خلق هو منها، ولو ظهرت منه بعد

([1])هم: عبدالله ابن عباس والحسن البصري وابن سيرين، ((ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي، (157/8، 158).

([2]) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي، (157/8، 158).

([3]) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (3 /353)، والمستفاد من قصص القرآن، عبد الكريم زيدان، (1 / 14)

خلقه فضائل ومزايا ومحاسن عظيمة لم يأت بمثلها ذو العنصر الأشرف، وهذه الفرية هي أساس الاستعلاء والاستكبار بالأعراق والأصول القائم على ادعاء التفاضل العرقي الذي يسري الى الفروع، وفروع الفروع ولو فسدت ونجم عنها ضر كبير وشر مستطير.

الفرية الثانية: إنَّ عنصر النار أشرف من عنصر الطين، وهذا ادعاء توهمي باطل فالنار ذات نفع بحرارتها لإنضاجها الأشياء واستخدامها في منافع كثيرة، وذات ضرر عظيم وخطر جسيم حينما تحرق وتتلف وتهلك، والطين ذو نفع عظيم جداً حينما يكون عنصراً لإنبات الزروع والثمار وسائر نباتات الأرض النافعات للأحياء في غذائهم ..... فتفضيل عنصر النار على عنصر الطين تفضيل توهمي باطل دافعه النزعة الاستكبارية المنتنة التي نفخت في صدر إبليس فجعلته يعصي ربه [1].

وإبليس بمقولته هذه يكون أول من بذر بذرة الاستعلاء والتحقير ذلك أنَّه عبر التاريخ ظهر صنف من الناس وسوس لهم الشيطان وألقى في روعهم أنهم أرقى من البشر وتجري في عروقهم دماء الآلهة فكانوا اتباعه وكان كبيرهم في هذا التحقير والاستعلاء، ووفقا لهذا الفقه الشيطاني ادعى هذا الصنف من البشر الألوهية وفي عهودهم اندرج الإنسان إلى مستوى أقل من مستوى البهيمة، فإبليس بهذه المقولة ذلَّ الإنسان على يدي الإنسان من منطلق حقده وخصومته لآدمعليه السلام وأبنائه، ولم يقذف الشيطان بفقه (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ) على الجبابرة الذين ادعوا الألوهية على امتداد التاريخ فقط؛ وإنما قذف بفقه (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ) على الخاص والعام في الساحة الإنسانية لوقف تقدم دين الفطرة، فما من نبي أو رسول بعثه الله منذ ذرأ الله ذريته آدم إلاّ رفعت في وجهه لافتة تحقير الإنسان التي انبثقت من فقه (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ) الذي يحمل بين طياته الخصومة لبني الانسان لقد واجه الخاص والعام رسل الله عليهم السلام بقول واحد على امتداد الرسالات فقالوا: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُم إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ ، {يس: ١٥ }،وقالوا: ﴿ ... قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ ، {إبراهيم: ١٠}، وقالوا: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً

(1)ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر، للميداني، (4 / 113- 115).

مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ، { المؤمنون: ٢٤}، لقد قام ابليس بتوظيف خصومته للإنسان بأن بث ثقافة من شأنها أن تمنع السجود لله، وإذا كان هو أصل هذه الثقافة يوم أن رفض السجود، فإن هذه الثقافة حملها في الدنيا الإنسان ضد الإنسان بعد أن دقَّ الشيطان وتدها في الكيان الإنساني، وفقه التحقير هذا باقٍ ما بقي الشيطان، فالشيطان يطرحه على قوم وعند ذهاب السلف يلقيه الشيطان على الخلف وهكذا تتسع الحلقات ليكون التحقير مألوفاً على امتداد القافلة البشرية، وهذا ما نلحظه اليوم في واقعنا وما نعاني منه نحن أمة الإسلام تلك هي خطة الشيطان في فقه التحقير الذي يرفض الهدى ليفتح أبواب النار[1].

وفي قتل موسى لذلك القبطي صراع عنصري فموسى قتل ذلك القبطي بدافع العصبية لقومه لا بدافع العقيدة قال تعالى:﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ ﴾ ، {القصص: ١٥}

والعنصرية بما تثيره من صراع حاد في العلاقات بين البشر، من أبرز مشكلات هذا العصر، فهي من أكبر عوامل نزعات الكراهية والبغض بين الناس واهدار حقوق الانسان وسحق كرامته ومصادرة حريته والهبوط إلى الحضيض في معاملته.

المطلب الثالث: الصراع الطبقي

يقصد بالطبقة: فئة من أفراد المجتمع يمكن تحديد مركزها الاجتماعي ببعض المعايير الخارجية المشتركة، ويتفاعل الأشخاص الذين ينتمون إلى مثل هذه الفئات بأحوالهم ومظهرهم وطرائق سلوكهم[2] هو الذي ينشأ بسبب تعالي طبقة الأغنياء على طبقة الفقراء أو حقد الفقراء على الأغنياء، بسبب حرمانهم حتى من ضروريات الحياة وتكدس الثروات الطائلة في أيدي الأغنياء[3]

(1) ينظر الانحرافات الكبرى ، القرى الظالمة في القرآن الكريم ـ سعيد أيوب، (صـ صـ 17 - 19)، معارج التفكر ودقائق التدبر، للميداني، (4 / 114)

(2) دراسات في الطبقات الإجتماعية، جورج جورفتش، ترجمة: أحمد رضا، (صـ7).

(3) ينظر: الثورة الفلسطينية، محمد جلال كشك، (صـ 75).

ويوضح ماركس[1] فكرة الطبقات الاجتماعية بقوله: " إنَّ تاريخ المجتمع ككل هو تاريخ صراع الطبقات، فالإنسان الحر والعبد، والشريف والوضيع، ورئيس العمل والصانع، وبالإجمال الطغاة والمقهورون الذين يواجه بعضهم بعضاً في خلاف مستمر، كل أولئك قد شنوا فيما بينهم صراعاً متصلاً لا ينقطع؛ صراعاً كان ينتهي كل مرة بانقلاب ثوري يحيق بالمجتمع كله، أو بدمار الطبقات المتصارعة كلها"[2]

وبالنظر في قصة إبليس وبذره لفقه التحقير والإستعلاء والتفاخر بأصله كما مرَّ معنا في الصراع العنصري أدى ذلك إلى مظهر آخر من الصراع يتمثل في تفاضل الطبقات بعضها على بعض إمَّا بالمال أو الجاه أو المكانة، كما في قصة فرعون مع موسىعليه السلام، فقد تفاخر فرعون بمكانته قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ ، {الزخرف: ٥١ ــ ٥٢}، فهو يقصد أنَّ موسىعليه السلام ليس من طبقته وليس من مكانته " وحاصل الأمر أنه احتج بكثرة أمواله وقوة جاهه على فضيلة نفسه، ثم قال: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾، وعنى بكونه مهيناً كونه فقيراً ضعيف الحال، وحاصل الكلام يرجع إلى حرف واحد، وهو أنَّ فرعون كان يقول: أنا أكثر مالاً وجاهاً، فوجب أن أكون أفضل منه فيمتنع كونه رسولاً من الله؛ لأنَّ منصب النبوة يقتضي المخدومية، والأخس لا يكون مخدوماً للأشرف، ثم المقدمة الفاسدة هي قوله من كان أكثر مالاً وجاهاً فهو أفضل، وهي عين المقدمة التي تمسك بها كفار قريش في قولهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ ، {الزخرف: ٣١} "[3]

---

(1) هو: كارل ماركس: فيلسوف وثوري ألماني من أصل يهودي، جده الحاخام المشهور في الأوساط اليهودية (مردخاي ماركس) ، مؤسس الشيوعية الحديثة والاشتراكية العلمية، لعب أفكاره دورا هاماً في تأسيس علم الاجتماع، من مؤلفاته: (كتاب رأس المال) ، توفي: سنة: (1883م)، (ينظر: موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية، بعنوان: كارل ماركس، بتاريخ7/23/ 2022م.))

(2) دراسات في الطبقات الإجتماعية، جورج جورفتش، ترجمة: أحمد رضا، (صـ10).

(3) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (637/27، 638).

﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ ...﴾، وهو يعني بالمهانة أنَّ: موسىعليه السلام ليس ملكاً ولا أميراً ولا صاحب سطوة ومال مشهود، أم لعله يشير بهذا إلى أنَّه: من ذلك الشعب المستعبد المهين، شعب إسرائيل، أمَّا قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾، فهو استغلال لما كان معروفاً عن موسىعليه السلام قبل خروجه من مصر من حبسة اللسان، وإلا فقد استجاب الله سؤاله حين دعاه كما حكاه لنا قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ ﴾ ، {طه: ٢٥ ـ ٢٨ }، وحلت عقدة لسانه فعلاً، وعاد يبين [1]

يقول القاسمي[2]: في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢ ﴾ ، {الزخرف: ٥١ ــ ٥٢}،: " يعني أنهار النيل أفلا تبصرون! أي: ما أنا فيه من النعيم والخير، وما فيه موسىعليه السلام من الفقر، أم أنا خير من هذا الذي هو مهين أي ضعيف لا شيء له من الملك والأموال ولا يكاد يبين أي الكلام، لمخالفة اللغة العبرانية اللغة القبطية فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين، أي: يعينونه ويصدقونه "[3]

كما أنَّ فرعون كرس النظام الطبقي بين أفراد المجتمع قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤ ﴾ ، {القصص: ٤}، كما تفاخر قارون على قومه بماله قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (5/ 3195).
(2) هو:جمال الدين ـ أو محمد جمال الدين- بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علما بالدين، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، ونشر بحوثا كثيرة في المجلات والصحف، منها: " الائل التوحيد ، وديوان خطب، و الفتوى في الإسلام ، و إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق، و شرح لقطة العجلان ، و نقد النصائح الكافية، و مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، و موعظة المؤمنين؛ اختصر به إحياء علوم الدين للغزالي، و شرف الأسباط ، و تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب، و جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، و إصلاح المساجد من البدع والعوائد، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، و محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم، مولده ووفاته في دمشق، توفي سنة: (1332 هـ)، ((ينظر: الأعلام، للزركلي، (2/ 134، 135).))
(3) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي، (8/394).

قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ ، {القصص: ٧٩}، وقال تعالى عن قوم ثمود: ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ۚ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ ، {القمر: ٢٤}، وقوم نوح عليه السلام ظهر الصراع الطبقي بقولهم لنوح عليه السلام: ﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ ، {الشعراء: ١١١}، فالأرذلون: جمع أرذل، وهو الردىء من الشيء، ورذال الفاكهة، المعطوب منها، وما نسميه (نقاضة)، والاستفهام هنا للتعجب؛ كيف نؤمن لك ونحن السادة، والمؤمنون بك هم الأرذلون؟ يقصدون الفقراء وأصحاب الحرف والذين لا يؤبه بهم، وهؤلاء عادة هم جنود الرسالة؛ لأنَّهم هم المطحونون من المجتمع الفاسد، وطبيعي أن يتلقفوا من يعدل ميزان المجتمع، وفي آية أخرى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ، {هود: ٢٧ }[1]، ﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾، أى: لا نؤمن لك والحال قد اتبعك الأقلون جاهاً ومالاً، أى: وهذه حالك كما تقول لا نصحبك وقد صحبك السفلة، والأرذلون جمع الأرذل والرذالة الخسة والدناءة، والرذال المرغوب عنه لرداءته، يعنون: أن لا عبرة لاتباعهم لك، إذ ليس لهم رزانة عقل وإصابة رأى، قد كان ذلك منهم فى بادى الرأى، وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصر أنظارهم على الدنيا، وكون الأشرف عندهم من هو أكثر منها حظاً والأرذل من حرمها وجهلهم أنَّها لا تزن عند الله جناح بعوضة وأن النعيم هو نعيم الآخرة، والأشرف من فازبه والأرذل من حرمه، وهكذا كانت قريش تقول فى أصحاب رسول الله، وما زالت الاتباع للأنبياء ضعفاء الناس؛ وذلك لأنَّ الحقيقة من أرباب الجاه والثروة لم تأت إلا نادراً[2]

أي: كيف نتبعك ونحن لا نرى أتباعك إلا أسافل الناس، وأراذلهم، وسقطهم، بهذا يعرف تكبرهم عن الحق، وجهلهم بالحقائق، فإنهم لو كان قصدهم الحق، لقالوا - إن كان عندهم إشكال وشك في دعوته - بين لنا صحة ما جئت به بالطرق الموصلة إلى ذلك، ولو تأملوا

(1) ينظر: تفسير الشعراوي، للشعراوي، (10623،10624/17).
(2) ينظر: روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، (262/6).

حق التأمل، لعلموا أنَّ أتباعه، هم الأعلون، خيار الخلق، أهل العقول الرزينة، والأخلاق الفاضلة، وأنَّ الأرذل، من سلب خاصية عقله، فاستحسن عبادة الأحجار، ورضي أن يسجد لها، ويدعوها، وأبى الانقياد لدعوة الرسل الكمل، وبمجرد ما يتكلم أحد الخصمين في الكلام الباطل، يعرف فساد ما عنده بقطع النظر عن صحة دعوى خصمه، فقوم نوح عليه السلام، لما سمعنا عنهم، أنهم قالوا في ردهم دعوة نوح: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ فبنوا على هذا الأصل، الذي كل أحد يعرف فساده، رد دعوته ،عرفنا أنهم ضالون مخطئون، ولو لم نشاهد من آيات نوح عليه السلام ودعوته العظيمة، ما يفيد الجزم واليقين، بصدقه وصحة ما جاء به[1]

لقد كانت نظرتهم قائمة لأتباع الأنبياء على أنهم من وضيعي النسب قليلي النصيب من الدنيا، فإن الشرف لديهم بالمال، والنشب، والحسب، والنسب، لا بالأخلاق الفاضلة، والملكات الكاملة، التي تحمل على تعرف الحق والتوجه إليه، ثم اعتناقه والمحافظة عليه، وأكثر ما تكون الأخلاق في مثل المستضعفين، إذا قام عليهم ناصح أمين، إذ لا مال يطغيهم، ولا جاه يلهيهم، وذلك من العناية الربانية فيهم" [2].

وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله ﷺ؛ وما زالت أتباع الأنبياء كذلك، حتى صارت من سماتهم وأماراتهم.[3]

ومما سبق ذكره في صورمن مظاهر نشأة الصراع من خلال قصة صراع آدم عليه السلام مع إبليس لعنه الله، وبين ابني آدم نلحظ الآتي:

- الإختلاف في مجال العقيدة الواحدة التي دان بها آدم عليه السلام والملائكة، ورفضها إبليس عليه اللعنة.
- عدم اشتراك ابني آدم في وحدة اجتماعية تؤدي إلى اشتراكهم في التقاليد والعادات الواحدة وطرق المعيشة.
- الاشتراك في جغرافيا الصراع سواء في السماء في أول الأمر وانتقاله إلى الأرض واستمراره فيها إلى قيام الساعة.

---

(1) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (صـ594).
(2) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي، (7 /465)
(3) ألا ترى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله ﷺ فلما قال: (ضعفاء الناس) قال: (ما زالت أتباع الأنبياء كذلك)، ((ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي، (7 /465)

الخـاتمة:

من خلال المطالعة والكتابة في هذه الدراسة المتعلقة بأسباب ومظاهر نشأة الصراع في تاريخ البشرية من منظور القصص القرآني توصلت الدراسة إلى الآتي:

أولاً: النتائج:

1- ينشأ الصراع نتيجة الاختلاف والتعارض والتناقض بين الأهداف والمصالح والأراء والطموحات، وتمسك كل طرف بوجهة نظره، وعدم الاتفاق على الأهداف أو الاجراءات.
2- الصراعات ظاهرة إنسانية وحقيقة معروفة في الحياة البشرية؛ إذ لا يتصور وجود حاضر ومستقبل لأي ظاهرة إنسانية دون وجود ماضٍ ومسيرة تاريخية لها.
3- الصراع مرتبط بعلاقة وثيقة بتاريخ القصص القرآني، وهو قديم بقدم الانسان نفسه وهو ماضٍ إلى يوم القيامة.
4- ميدان الصراع بين الحق والباطل واسع ومتشعب، بدأ في السماء بشكل مؤقت بين آدم عليه السلام وإبليس عليه اللعنة، ثمَّ انتقل إلى الأرض ليستمر بين بني آدم إلى قيام الساعة.
5- يبدأ الصراع داخل الفرد بصراع نفسي ثم يحدث ميل نفسي تصارعي يُسَبِبُ تغييراً مضطرباً في النظرة إلى الذات ويُعَبَّرُ عنها بالتصرفات المنحرفة.
6- الشيطان ناصب العداء لبني آدم، وقد حذر القرآن منه ومن تزينه وأمرنا أن نتخذه عدواً، وهو بعد مستمر في عدائه، فيحدث التصارع مستغلاً الضعف البشري الذي تمتاز به النفس الانسانية حين تصطرع دوافع الخير مع دوافع الشر داخلها.
7- الكبر والحسد والحقد أمراض اجتماعية خطيرة ثمرتها التصارع المفضي إلى الهلاك.
8- القصص القرآني لا تنقضي أغراضه وأهدافه إلى آخر الزمان، فهو يتناول الصراعات المتصلة بقضايا العصر الحاضر، كالطائفية والعنصرية والطبقية وغيرها من صور الصراعات الموجودة على الساحة، فلا تكاد تذكر قصة من قصص القرآن إلا ويوجد فيها صوره أو صور من الصراعات.

ثانياً: التوصيات:

1- الاستفادة من قصص القرآن الكريم في استخلاص الحلول للمشاكل التي تعاني منها الأمة، فهي من أنجع الوسائل في إصلاح المجتمعات.
2- دراسة الجوانب المتعلقة بالصراعات من منظور القصص القرآني.

والحمد لله رب العالمين،،،،

فهرس المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1- **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ت ط: (1394هـ/ 1974 م).
2- **إدارة الصراعات وفض المنازعات- إطار نظري-**، سامي إبراهيم الخزندار،الدار العبية للعلوم ناشرون- مركز الجزيرة للدراسات، الطبعة: الأولى، ت ط: (2014م).
3- **أدب القصة في القرآن الكريم ـ دراسة تحليلية كاشفة عن معالم الاعجاز**، عبد الجواد محمد المحص، الدار المصرية، الاسكندرية.
4- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
5- **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)،)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ت ط: (أيار / مايو 2002 م).
6- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، (1406 هـ - 1982م)،دار الفكر العربي- مؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة – بيروت، (189/4).
7- **الإنحرافات الكبرى، القرى الظالمة في القرآن الكريم**، سعيد أيوب، دار الهادي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ت ط: (1412هـ 1992م).

8- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
9- **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ت ط: (1984 هـ).
10-**تفسير الشعراوي**، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
11-**تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ت ط: (1990 م).
12-**تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ت ط: (1420هـ - 1999 م).
13-**تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ت ط:(1365 هـ - 1946م).
14-**التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر ، دمشق، الطبعة : الثانية ، ت ط: (1418 هـ).
15-**تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى،ت ط: (2001م).
16- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ت ط:(1420هـ -2000 م).
17-**الثورة الفلسطينية**، محمد جلال كشك.
18-**جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب

الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ت ط: (1420 هـ - 2000 م).
19-**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ت ط: (1422هـ).
20-**الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ت ط: (1384هـ - 1964 م).
21-**دراسات في الطبقات الإجتماعية**، جورج جورفتش، ترجمة: أحمد رضا.
22-**روح البيان**، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ)، دار الفكر، بيروت.
23-**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للامام أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ت (1270هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت،الطبعة: الرابعة، ت ط: (1405هـ- 1985م).
24-**زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ت ط: (- 1422 هـ).
25-**زهرة التفاسير**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار الفكر العربي.
26-**السلوك التنظيمي- دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في منظمات الأعمال**، محمد القريوتي، دار وائل للنشر، عمان، ط: (الخامسة)، ت ط: (2009م).
27-**السنن الالهية في الامم والأفراد والجماعات**، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ت ط: (1419هـ - 1998م).
28-**السنن الالهية في الامم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط**، مجدي

محمد محمد عاشور، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة ، الطبعة: الثانية، ت ط: (1428 هـ - 2007م).
29- **السنن الالهية في الحياة الانسانية وأثر الايمان بها في العقيدة والسلوك**، شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، الدار العثمانية، عمان، الاردن، الطبعة: الأولى، ت ط: (1425 هـ 2004م)، (1/ 121).
30-**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، ت ط: (1407 هـ - 1987 م).
31-**صراع بين الحق والباطل**، سعد صادق محمد، مطبعة السنة المحمدية ، مصر، الطبعة: الثانية، ت ط: (1388هـ 1968م).
32-**العلاقات العامة الشعبية ودورها في الوساطة وفض النزاعات القبيلة**، حسب الرسول الطيار، مكتبة الأزهري، الطبعة: الأولى، ت ط: (1998م).
33-**عوامل حماية المجتمع من الصراعات في ضوء الكتاب والسنة**، رسالة ماجستير، إعداد الطالب، حياة صديق حمزة عبدالواحد، إشراف: الدكتور: أحمد أحمد غلوش، جامعة: أم القرى، كلية: الدعوة وأصول الدين، (1410هـ).
34-**فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ت ط:(1379هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
35-**فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ت ط:(1414 هـ).
36-**الفروق اللغوية**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري(المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
37-**في النفس والمجتمع**، محمد قطب، مكتبة وهبة، القاهرة.
38-**في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)،

دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر، ت ط: (1412 هـ).
39-**القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق:مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الثامنة، ت ط: (1426 هـ - 2005م).
40-**قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، محمد عاطف غيث، الإسكندرية، (2006م).
41-**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الثانية، ت ط (1395 هـ - 1975 م).
42-**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالث، ت ط: (1407 هـ).
43-**لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى: ت ط: (1415 هـ).
44-**اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى،ت ط: (1419 هـ -1998م).
45- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، (1414 هـ).
46-**مباحث في علوم القرآن**، مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة، ت ط: (1421هـ-2000م).
47-**محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق

القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة: الأولى، ت ط: (1418 هـ).
48-**المخصص**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ت ط: (1417هـ 1996م) .
49-**المستفاد من قصص القرآن القرآن للدعوة والدعاة**، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت.
50-**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
51-**مع قصص السابقين في القرآن**، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة: الخامسة،ت ط: (1428هـ - 2007م).
52-**معارج التفكر ودقائق التدبر**، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ت ط: (1421 هـ - 2000م).
53-**المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
54-**معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان للنشر والتوزيع، لبنان، ت ط: (1977م).
55-**معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ت ط: (1399هـ - 1979م).
56-**مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ت ط: (1420 هـ).
57-**المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي،

دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ت ط: (1412 هـ).

58-**موسوعة الأعلام والتراجم على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).**

59-**الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة الحديثة على الشبكة العنكبوتية(الإنترنت).**

60-موقع ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

61-**الميزان في تفسير القرآن**، للسيد محمد حسين الطباطبائي(ت 1402هـ)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة: الخامسة، ت ط: (1403هـ - 1983م).

62-**يتمة الدهر في محاسن أهل العصر**، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ)، تحقيق: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ت ط: (1403هـ -1983-م).